

أخبار الأئمة السبعة

ابن الصغير

القرن الثالث الهجري

تحقيق و تعليق

دكتور محمد ناصر

الأستاذ إبراهيم بخاز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

من أهم البواعث التي حفزتنا على تحقيق هذا المؤلف القيم ونشره ، ما رأيناه من فراغ في المكتبة العربية الاسلامية في مجال تاريخ المغرب الاسلامي عامة ، وتاريخ الدولة الرستمية خاصة . وقد ساعد على احداث هذا الفراغ الهائل عدة عوامل ، قد يكون من أهمها عدم اهتمام المدارس والبحاثين بهذا النوع من الدراسات التي تعتمد البحث والتقصي ، وميل اغلب النashرين الى هذا الانتاج الخفيف الذي يقبل عليه القاريء المعاصر غالبا مثل القصص والروايات والشعر وما إليها .

والحق قد يكون مما ساعد على صعوبة الوصول الى هذا التراث المتعلق بالدولة الرستمية ، انصراف المؤرخين القدامى انفسهم عنها ، وزهدهم في الكتابة في تاريخها ، لا لشيء الا لكون مؤسسيها يتمذهبون بالمذهب الاياضي الذي يصر اغلب اولئك المؤرخين على اعتباره مذهبا من مذاهب الخوارج .

وقد لفت نظرنا كما لفت نظر العديد من الباحثين المعاصرين النزهاء هذا التجني في حق أول دولة مستقلة في المغرب الاسلامي ، استطاعت ان تطبق بحق الديمقراطية والعدالة بين أهلها رغم اختلاف المذاهب والديانات ، ويمكن ان نذكر من بين اولئك المؤرخين ابن عبد الحكم (ت 257 هـ) صاحب كتاب فتوح مصر والمغرب والاندلس ، والبلاذري (ت 279 هـ) صاحب الكتاب المشهور فتوح البلدان ، فعلى الرغم من معاصرتهم للدولة

هذا الكتاب
خاص بصاحب غز الدين محمد
قمت بنسخه سنة 1415 هـ
تاريخه 15/5/1415
عليه منجلي
الرجاء المحافظة عليه

الرسمية فانها لم يذكرنا من اخبارها الا النزر القليل، والاعجب من هذا ان ينزلق الى هذا التجني الفاضح مؤرخ مغربي شهد له بالموضوعية، وسعة العلم وهو ابن خلدون، (1) ان هذا الانحياز المؤسف جعل باحثا معاصرا يقرر بأن إهمال التاريخ للدولة الرسمية من شأن المؤرخين في المشرق الاسلامي ايضا، (2) ونجد من بين الباحثين المعاصرين الاكاديميين من ضرب صفحا عن الدولة الرسمية، فلم يرد لها ذكر في مؤلفه وكأنها لم تخلق قط بينما يذكر دويلات أقل أهمية، ويدعي التاريخ « للثقافة والادب في المشرق والمغرب » واذا التمسنا عذرا للمؤرخين القدامى الذين كانوا يعيشون ظروفًا اجتماعية وسياسية ونفسية صعبة بحكم قربهم من هذه الصراعات الفكرية والمذهبية، فاي عذر نلتمسه لدكتور جامعي يدعي الاستقلال الفكري، والنزاهة الموضوعية، وينشر كتابه بعد استقلال الجزائر بثلاثين سنة (3) !؟

على أن الذين يتحملون المسؤولية الكبرى في هذا الإهمال هم المعنيون بهذا التراث قبل غيرهم من الاباضية، لأنهم لم يبذلوا أي جهد في ازالة التراب عن هذا التراث الذي ما يزال اغلبه في رفوف الخزائن الخاصة، وقد عبثت السنون والارضه بالكثير منه، وسوف يأتي يوم يدرك فيه أصحاب هذه الخزائن أنهم اساءوا في حق المعرفة الانسانية كما اساءوا في حق تاريخهم وحضارتهم.

(1) أنظر، المدني احمد توفيق، مدخل لدراسة الدولة الرسمية، واسهامها في التطور الفكري والحضاري الملتقى الحادي عشر للفكر الاسلامي، صفر 1397 هـ / فبراير 1977 م.

(2) أنظر تفاصيل اكثر في جودت عبدالكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرسمية، م.و.ك. الجزائر، 1984، المقدمة.

(3) أنظر عبد الله شريط، تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب م.و.ك. ط 3، الجزائر 1983.

ونحن، اذا ذكرنا هذا هنا فانما نذكره بألم شديد، خاصة إذا علمنا أن «كتابا مثل كتاب ابن الصغير في تاريخ الأئمة الرسميين أول دولة اسلامية مستقلة في الجزائر، نفتقد اليوم مخطوطه في المكتبات الخاصة الاباضية وفي المكتبات العامة الجزائرية وغيرها، وقد كان موجوداً في إحدى خزائن وادي ميزاب في بداية هذا القرن، حيث اطلع عليه الأستاذ المستشرق (موتيلانسكي A. de C. Motylinski وذكر أنه، في علمه، لا توجد لذلك الكتاب أية نسخة خطية أخرى في مكان آخر، فهل استولى عليها المستشرقون قبله، كما استولوا على كثير من تراثنا، فافتقدتها خزائن ميزاب بطريقة إن دلت على شيء فانما تدل على تهاون أصحابها وذكاء وحيلة المستولي عليها، وبعد هذا الإهمال الذي أدى إلى اختفاء المخطوط وضياعه، استمرنا في الإهمال والغفلة، ولولا أن الكتاب طبع ضمن أعمال مؤتمر المستشرقين الرابع عشر الذي انعقد في الجزائر سنة 1905 م (4) لكان مصير الكتاب، ولا شك، الضياع والإختفاء، فتلك إذن من جهة أخرى حسنة من حسنات الاستشراق الذي بالقدر الذي سطا به على ثراتنا وحمله إلى بلاده وراء البحار، بالقدر نفسه احتفظ على ذلك التراث وعمل على نشره، وتصنيف مخطوطاته في مكباته التي فتحتها لجميع الدارسين. من هنا يجب أن نلوم أنفسنا قبل أي أحد آخر على إهمالنا وغفوتنا.

وظل الباحثون يرجعون إلى-يومنا هذا إلى ذلك النص المطبوع ضمن أعمال المؤتمر المذكور، وأصبح الحصول عليه عسيراً جداً، وفي سنة 1975-1976 م طبع نفس النص العربي في مجلة العلوم الإنسانية لكلية

(4) Actes du 14^e Congrès international des orientalistes à Alger 1905 3^e partie imp. (4) Orientale Paris 1908 - Texte arabe avec la traduction de Motylinski et sa préface,

الآداب بتونس وهي المجلة المعروفة بكراسات تونس⁽⁵⁾ ، وذكر في سطور مدير المجلة الأستاذ طالبي محمد ، بأن إعادة طبع الكتاب تماماً مثلما فعله موتيلانسكي هو بعيد من أن يأخذ مكانه اللائق به ، وقال بأنه ليس في الإمكان إلا إعادته كما هو ، باستثناء تصحيح بعض الأخطاء الظاهرة البينة . وتفاءل أن تكون إعادة طبعه لهذا الكتاب سبباً وحافزاً لطبعة أجود . ثم ختم قائلاً « ولكن كيف الحصول على المخطوط ! »⁽⁶⁾ .

وفي سنة 1976 م أي في نفس السنة ، أستاذ ما كتب في تلك المجلة عن ابن الصغير : النص العربي وتقديم موتيلانسكي وكلمة مدير المجلة فأعيد طبع ذلك دون زيادة أو نقصان (ربما بالأوفست) لأن الصفحات هنا تتناسب مع الصفحات هناك والذي تغير هو ترقيم الصفحات فقط ، وقامت بهذا الطبع كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس منشورات جامعة تونس ضمن سلسلة « معرفة المغرب » وتحت رقم XI⁽⁷⁾ . وذكر على غلاف هذا الكتاب أن كراسات تونس رأت ضرورة إعادة طبع بعض النصوص التي نشرت في المجلة والتي أصبحت صعبة المنال بالنسبة للباحثين في تاريخ إفريقيا الشمالية .

هذا ما قامت به تونس ، وذلك ما قامت به فرنسا ، أما الجزائر التي تعتبر الكتاب كتاباً لتاريخها المباشر ومؤلفه جزائري تيهرتي سكن تيهرتي عهد الرستمين وكتب مشاهداته أو ما قيل له عن قرب ، فإنها لم تعمل

شيئاً من هذا القبيل ، ومن هنا كان إهمالها لتراثها ، ومن هنا كان تسرب تراثها شرقاً وغرباً ، فسبقت في هذا المجال ، فهلا من نهوض ويقظة ؟

إننا نقدم ابن الصغير في حلة جديدة معتمدين على النسخ المطبوعة المذكورة وعلى نسخة مخطوطة بحوزتنا للشيخ أبي اليقظان ابراهيم ، قام باستنساخها بنفسه من مطبوعة أعمال مؤتمر المستشرقين الآنف الذكر .

ولقد عملنا قصارى جهدنا في تحقيق النص من جميع جوانبه ، فلم نترك حسب اعتقادنا ، أي مبهم يحتاج إلى فك ، أو أية كلمة غامضة تحتاج إلى تفسير أو أي خطأ لغوي يحتاج إلى تصحيح ، فرجحنا ما وجدنا سياق الكلام يحتمه مع ذكر النص الأصلي أو الكلمة الأصلية كما وردت في الأصل ، مخافة أن يكون اجتهدنا خاطئاً ، ولقد ترجمنا للأعلام الواردة في النص بالقدر الذي وجدناه في المصادر الإباضية أو غيرها من المصادر المعتمدة ، وبيننا بعض الأماكن الواردة في النص مهملين الأماكن المعلومه ، أما بعض المواضع التي لم نجدها في المصادر الجغرافية فقد ذكرنا ذلك . وأثبتنا الروايات التي تتفق أو تختلف مع الروايات في المصادر الإباضية ، وما سكتنا عنه من ذلك فهو ينفرده ابن الصغير . وسوف يجد القاريء والباحث توضيحات أخرى في محلها من الهوامش أو المتن .

وقد رأينا إعادة نشر الخلاصة الفرنسية التي كتبها موتيلانسكي حين نشره هذه الرسالة كاملة لأول مرة سنة (1905) في المجلة الإفريقية ، فعلنا ذلك حتى يستفيد أولئك الذين لا يحسنون اللغة العربية بالقدر الذي يمكنهم من فهم أمثال هذه البحوث ولعل ذلك خير ، كما قمنا بتعريبه تعميماً للفائدة ومساعدة لأولئك الذين لا يحسنون الفرنسية ، ونود الإشارة هنا إلى أننا قد لا نوافق موتيلانسكي في كثير من الآراء التي ذهب إليها في

(5) Les cahiers de Tunisie, Revue des sciences Humaines faculté des lettres de Tunisie

Tome XXIII N° 91-92 3° et 4° trimestre 1975, pp. 315-368

Ibid p. 313

(6)

Faculté des lettres et sciences humaines de Tunis, Connaissance du Maghreb XI (7)

Publications de l'Université de Tunis 1976.

خلاصته تلك ، وقد اكتفينا بابداء رأينا في التعليق على هوامش رسالة ابن الصغير .

كما قننا بوضع عناوين صغيرة للرسالة الى جانب النص الاصيلي اجتهدنا في أن تكون دالة على محتوياتها تسهيلا للقاري العادي والباحث المتخصص ، واعتمدنا عليها في وضع فهرس موضوعات الكتاب وهو لم يكن موضوعا من قبل في النسخة الاصلية .

وإننا إذ نقوم بهذا العمل ، نرجو أن نكون موفقين فيه أولاً ، وأن يلبي طلبات الباحثين في التاريخ الاسلامي ثانياً ، إننا نقدم هذا الكتاب إلى كل القراء والباحثين عامة وفي الجزائر خاصة لأنه كما ذكرنا سابقاً ، لم يسبق أن طبع في الجزائر أو بيع في مكتباتها رغم أنه طبع عدة مرات، والله من وراء القصد .

ربنا لا تواخذنا إن نسينا أو اخطأنا .

الجزائر في يوم 04 رجب 1405 هـ / 26 مارس 1985 م

محمد ناصر
ابراهيم بحاز

ترجمة ابن الصغير والتعريف بكتابه

ابن الصغير هو مؤرخ الدولة الرستمية ، كما تسميه الدكتور و داد القاضي⁽¹⁾ لا نعرف عنه شيئاً كثيراً ، إلا ما ذكره هو بنفسه في كتابه .

عاصر ابن الصغير أواخر أيام الرستمين ، وذكر أنه رأى الإمام أبا اليقظان بن أفلح (261-281 هـ) الذي يقول عنه « وقد لحقت أنا بعض أيامه وإمارته وحضرت مجلسه »⁽²⁾ ، فابن الصغير إذن من سكان تيهـرت الرستمية ومن رعايا الرستمين ، ولا نعرف بالضبط هل هو من مواليد تيهـرت أم أنه هاجر إليها من مدينة أخرى أو من بلد آخر ، ولعل هذا الإحتمال الثاني أرجح ، يرجحه قوله « وقد لحقت أنا بعض أيامه » ،

فالظاهر من هذا الكلام أنه جاء غريباً إلى تيهـرت في أواخر أيام أبي اليقظان واستوطنها ، واستقر فيها كما استقر غيره قبله وفي هذا يقول ابن الصغير « ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم حتى لا ترى داراً إلا قيل هذه لفلان الكوفي ، وهذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي »⁽³⁾ ، فهو هنا ينسب المدينة للإباضية أو للرستمين « ينزل بهم » ولا يعتبر نفسه واحداً من أهلها ، ويبدو لنا أنه إما

(1) و داد القاضي : ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية ، مجلة الأصاله ، عدد 45 ، مطبعة البعث قسنطينة ، الجزائر 1387 هـ / 1977 م .

(2) ابن الصغير : أخبار الأئمة الرستمين ، ص 34 .

(3) نفسه ، ص 6

أن يكون كوفياً أو بصرياً أو قروياً ، يتضح لنا هذا من قوله أيضاً في مناظرة جرت بينه وبين أحد الإباضية ، فقال له هذا الإباضي « من أين زعمت وزعم أصحابك وغيرهم من الحجازيين والعراق ... » (4) ، فإن الصغير على ما يبدو لم يكن من مواليد تيهرت وإنما استوطن تيهرت ابتداءً من أواخر دولة أبي اليقظان بن أفلح الذي توفي سنة 281 هـ حسبما ذكره ابن الصغير نفسه (5) .

أما إذا تساءلنا عن مذهب مترجنا ، فالذي نراه أنه إما أن يكون مالكيًا أو شيعيًا ، ولعل الإحتمال الثاني أقرب إلى الصواب ، فالنص الذي ذكرناه قبل قليل عن مناظرة مؤرخنا مع أحد وجوه الإباضية الذي قال له « من أين زعمت وزعم أصحابك وغيرهم من الحجازيين والعراق » إن هذا النص يشير إلى كون ابن الصغير حجازي المذهب أي مالكيًا أو عراقي المذهب ، فالعراق في هذه الفترة يعج بالفرق والمذاهب ولكننا نحتمل أن يكون القصد به هنا المذهب الشيعي .

إن ابن الصغير كثيراً ما أشار إلى ميوله العلوية ولعل أبرز ذلك إيراد حديث « من كنت مولاه فعلي مولاه » فهذا الحديث الذي استشهد به ابن الصغير على خصومه اعتقاداً بصحته في ذلك الوقت بالذات ، دليل على علويته ، لأن هذا الحديث ظل مدار مناقشة المحدثين إلى يومنا هذا تقريباً بين معترف بصحته ورافض لذلك (6) فالشيعة العلويون بطبيعة الحال مؤمنون بصحة الحديث لأنه يخدم معتقداتهم وبالتالي فإن الصغير لم

(4) نفسه ، ص 45

(5) نفسه ، ص 38

(6) الألباني محمد ناصر الدين : سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ج 4 ، ط 2 ، المكتبة الإسلامية ، عمان 1404 هـ / 1983 م ، ص 330 ، وما بعدها .

يستشهد بهذا الحديث إلا لكونه علويًا شيعيًا ، معتدلاً في نظرنا ، هذا بالإضافة إلى ذكره بأن خطب الجمعة في تيهرت كانت خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (7) .

إننا نرجح هذا وبهذه الأدلة ونحن نشعر يقيناً أن المسألة ما زالت بحاجة إلى أقلام وبحوث ، فلعل اجتهادنا يكون حافزاً لغيرنا للتدقيق في الأمر أكثر .

ونختم إجمالاً بالقول إن ابن الصغير لم يكن من مواليد تيهرت ، وإنما قصدها في أواخر أيام الإمام أبي اليقظان ، فاستوطنها كما استوطنها الغرباء الذين تحدث عنهم ، لذلك كان الشطر الأول من كتابه إخباراً وروايات استقاها ممن يثق بهم من الإباضية والشطر الثاني منه مشاهداته الخاصة . وبالنسبة لمذهبه فهو شيعي معتدل غالباً .

أما إذا جئنا إلى كتابه ، فإننا نقاباً بداية بتعدد عناوينه ، مثل « أخبار الأئمة الرستمين » ، « تاريخ ابن الصغير » ، « سيرة ابن الصغير » ، وقد استعملت هذه التعابير كلها في الكتابات الحديثة ، إلا أن أول نشر له من قبل الأستاذ موتيلانسكي يحمل هذه العبارة « ذكر بعض الأخبار في الأئمة الرستمين منقول من ابن الصغير » (8) ، فلعل الكتاب الذي بين أيدينا اليوم ناقص ، وهو ما يمكن فهمه من شبه عنوانه أو افتتاحيته المذكورة ، فذكر بعض الأخبار المنقولة من ابن الصغير لا تعني إلا انتقاء أخبار دون أخرى ، وإلى هذا تشير الدكتور وداد القاضي فتقول بأن كتاب ابن الصغير وصلنا ناقصاً إذ يسكت فجأة في إمامة أبي حاتم يوسف دون أن يشير إلى

(7) ابن الصغير : ص 32 ، 47 .

(8)

نهاية الرستيين ، وتعلل هذا بقولها إن ابن الصغير لما تحدث عن فرس يعقوب بن أفلح الأشقر قال « لم يكن بالمغرب مثله قبله ولا بعده به يضرب المثل إلى اليوم »⁽⁹⁾ وتقول الدكتورة علماً بأن الإمام يعقوب تولى الإمامة مباشرة قبل أبي حاتم ، فقوله « إلى اليوم » تعني بعد مدة ليست بالتصيرة ...⁽¹⁰⁾

③ ويعتبر كتاب ابن الصغير المرجع الأول ، وربما الوحيد لتاريخ الأئمة الرستية ، أو يهتم الشيخ محمد مبارك الملي لفته بالعامية⁽¹¹⁾ ، فهي إن كانت في بعض الألفاظ كذلك ، فالكتاب ككل لا يمكن وصف أسلوبه بالعامية في نظري ، وفي هذا يقول الدكتور محمود إسماعيل إن « أسلوبه ومنهجه كما يتضح في تاريخه للدولة الرستية ينم عن طول باع في ميدان التاريخ »⁽¹²⁾

ويبدو أن ابن الصغير ألف كتابه حوالي سنة 290 هـ حسبما يرى ذلك مترجم الكتاب وناشره الأستاذ موتيلانسكي⁽¹³⁾ ، ويؤكد كل من الأستاذ لينسكي⁽¹⁴⁾ ووداد القاضي⁽¹⁵⁾ ، إذ تنتهي أحداث الكتاب في حكم أبي حاتم

(9) ابن الصغير : ص 43

(10) ووداد القاضي : ابن الصغير ، مجلة الأمانة عدد 45 ، ص 40 . من المعلوم أن الإباضية لا يعترفون بإمامة يعقوب بن أفلح ، وكذا إمامة اليقظان بن اليقظان وكلاهما قفز إلى الإمامة دون مساعدة من الإباضية فهم يتوقفون عند الإمام أبي حاتم (قتل سنة 294 هـ) فلمل هذا هو السبب في إهمال الأحداث الأخيرة للدولة الرستية وذلك بعدم استنساخ الإباضية لها ، خاصة وأن المخطوط الذي وجدته موتيلانسكي إنما وجدته بميزاب ومن هنا كانت العبارة « ذكر بعض الأخبار » .

(11) الملي محمد مبارك : تاريخ الجزائر القديم والحديث ، ج 2 ، الجزائر 1350 هـ / ص 69 .

(12) محمود إسماعيل : الخوارج في المغرب الإسلامي ، بيروت ، 1976 ، ص 9 .

(13) Actes du 14^e Congrès, op.cit p. 4

(14) Lewicki T.: l'Etat nord-africain de Tahert et ses relations avec le soudan occidental cahiers d'études africaines vol II (8) Paris 1962, p.515.

(15) ووداد القاضي : مجلة الأمانة عدد 45 ، م 40 .

الذي امتد إلى سنة 294 هـ . ولم يشر إطلاقاً إلى اليقظان بن أبي اليقظان ، هذا إذا اعتبرنا الكتاب الذي بين أيدينا كاملاً لم يستطع منه آخره .

أما إذا تحدثنا عن المحتويات الكتاب فالحقيقة أن ابن الصغير جمع أخبار الأئمة الواحد تلو الآخر بالترتيب ، وأطنب في الحديث عن بعض الفتن ، كفتنة ابن عرفة أو المنافسة التي جرت بين الإمامين أبي حاتم وعمه يعقوب على السلطة⁽¹⁶⁾ . حتى ليخيل للقارئ أن ابن الصغير إنما ألف تأليفه لذكر الفتن والثورات التي مرت بها تيهرت ، ابتداء من الإمام الثاني عبد الوهاب إلى الإمام أبي حاتم يوسف .

واعتمد ابن الصغير في كتابة تاريخه على مصدرين : الرواية الشفوية وهي تسيطر على الجزء الأكبر من كتابه ، والشاهدة التي لا تبدأ قبل فترة أبي اليقظان الذي عاصر ابن الصغير أيامه الأخيرة . وفي الرواية الشفوية يذكر ابن الصغير أحد روايته وهو أحمد بن بشير⁽¹⁷⁾ الذي يبدو أنه ابن لأحد المقرئين من الإمام أبي اليقظان ، مما يضفي أهمية على أخباره وما يجعل مصادره قريبة من الأحداث التي يؤرخ لها .

إن الأمانة العلمية التي التزم بها ابن الصغير لم تمنعه ، كما تقول ووداد القاضي من ممارسة حسه النقدي للروايات بصفته مؤرخاً . وهذا ما يمكن ملاحظته في الروايات التي رواها . وتدور حول موضوع خطير في ذاته ، خطير في نتائجه وجدته ، إذ يشعر ابن الصغير بالتحرج الشديد « وقد ظهر ذلك منه مرتين : الأولى عندما جاء في الرواية أن أفلح بن عبد

(16) ابن الصغير : ص 37 وما بعدها ، ص 53 وما بعدها .

(17) ابن الصغير : ص 48 ، وأنظر قبها ص 45 .

الوهاب عمد إلى سياسة فرق تسد ... والمرة الثانية في قصة تأليب وجوه الرستميين لأبي بكر بن أفلح ضد ابن عرفة فالرواية هنا ذهبت إلى أن أبا اليقظان بالذات هو الذي قام بتحريض أبي بكر علي ابن عرفة وباقتراح منه » (18)

ويكاد يخلو كتاب ابن الصغير من ذكر التواريخ ، أو ذكر أخبار الدولة الرستمية خارج تيهرت ، وكأنه خصه لتاريخ تيهرت لا غير . وإذا أردنا ختاماً تقييم المؤلف على ضوء كتابه ، وقيمه التاريخية ، فإنه لا يسعنا إلا إعادة تكرار ما قالته الدكتورة وداد القاضي من أن « القراءة الدقيقة لتاريخ ابن الصغير تدل على أن ابن الصغير لم يكن مجرد راوية للتاريخ وإنما كان مؤرخاً حقاً » (19) .

لهذه الأسباب كلها وللأهمية المذكورة للكاتب والكتاب تقوم اليوم بتقديدها رغم عدم عثورنا على المخطوط . ونشير إلى أننا أمام اختلاف وتعدد عناوين الكتاب رأينا ترجيح هذا العنوان :

☆ أخبار الأئمة الرستميين ☆

لأنه الأقرب إلى نص الكتاب ، وهو الأقرب إلى شبه العنوان الذي ظهر به أولاً .

تاريخ « ابن الصغير » عن أئمة تاهرت الرستميين

تأليف : موتلانسكي

ترجمة : د/ محمد ناصر

في دراسة منشورة سنة 1885 تحت رعاية مدرسة الآداب بالجزائر ، قدمت معلومات موجزة عن أئمة تاهرت الرستميين منسوبة الى مؤرخ يدعى « ابن الصغير » .

وسأقدم هنا ترجمة للنص الكامل لهذا المخطوط الذي لا يوجد منه - حسب علمي - سوى نسخة وحيدة بوادي ميزاب ، وكان المفروض أن تصحب (الترجمة) معلومات وافية عن الاصول العقائدية والتاريخية للاباضية ... عن بداينة وتطور المذهب في المغرب (الاسلامي) ... معلومات عن الاحداث التي سبقت أو ساعدت على تأسيس تاهرت ، ولكن هذا العمل كما يبدو في إطاره المحدود الضيق ان هو سوى مساهمة متواضعة في تاريخ الخوارج بافريقيا وهو يحتاج الى دراسات أعمق مما دفعنا الى الالحاح على بعض التساؤلات التي عولج بعضها بطريقة مجزأة ، ولأهميتها فاني سأحيل (القاري) الى سير أبي زكرياء المترجمة والموثقة من طرف الفقيد « ماسكاري » (1) .

وليسمح لي أن أذكر من بين المراجع ، الدراسات المتواضعة التي قمت بها

[1] يشير هنا الى كتاب « سير الأئمة وأخبارهم » المعروف بتاريخ أبي زكرياء وقد نشر مؤخراً بتحقيق إسماعيل العربي عن المكتبة الوطنية بالجزائر وكان قد ترجمه « ماسكاري » . أنظر Emile masquery, la chronique d'abou Zakaria Alger 1878.

(18) وداد القاضي : الأصالة عدد 45 ، ص 44 .

(19) نفس المرجع ص 49 ، وأنظر كذلك الدكتور محمود إسماعيل : الخوارج ، حيث يقول إن ابن الصغير ن مؤرخاً دقيقاً نابهاً . ص 9 .

عن اباضية الشمال الافريقي وهي : القرارة منذ تأسيسها⁽²⁾ . جبل نفوسة⁽³⁾ ، العقيدة الاباضية⁽⁴⁾ ، وقد نشرت هذه الدراسة الاخيرة بالمجلد الذي صدر عن مدرسة الآداب بمناسبة انعقاد هذا المؤتمر الذي يجمعنا⁽⁵⁾ .

ان تاريخ ابن الصغير يعد من أقدم الوثائق المتعلقة بتاريخ اباضية المغرب ولا يمكن ادراجها ضمن هاته السير المؤلفة من طرف المؤرخين الاباضيين ، مثل سيراى زكرياء ، وطبقات الدرجيني ، وجواهر البرادي ، والسير للشماخي ، وغيرها من الدراسات الثانوية التي تكون في مجموعها الأسس الحقيقية لتاريخ اباضية ميزاب ، واخوانهم بجزيرة ، وجبل نفوسة ، ذلك لأن عمل ابن الصغير هو عمل مؤرخ أجنبي عن المذهب يسكن تاهرت الرستمية تحت حكم آخر حكمها ، ان عمل ابن الصغير هو عمل مسلم لا ينتمي الى المذهب الاباضي عاش تحت حكم الدولة الرستمية في آخر أيامها ، دفعه الى حب الاطلاع الى جمع معلوماته عن عبد الرحمان بن رستم وخلفائه من أفواه اباضية تاهرت انفسهم .

ان تاريخ ابن الصغير يتوقف عند حكم أبي حاتم يوسف الذي خلف أباه أبا اليقظان سنة (281 هـ) وقد خلع أبو حاتم من الحكم وخلفه يعقوب بن أفلاح ثم عاد الى الحكم مرة ثانية ، وابن الصغير لا يخبرنا عن الحوادث العنيفة المأساوية التي سبقت بسنة أو بسنتين تدمير تاهرت من طرف الداعية أبي عبد الله (الشيعي) سنة (296 هـ) مما يدل على أن ابن الصغير كتب تاريخه حوالي (290 هـ) .

(2) يشير الى كتابه : Guerrara depuis sa fondation :

(3) أنظر مؤلفه : Le Djebel Nefousa :

(4) أنظر : L'aquida des Ibadhites. recueil de memoires et de textes publié en l'honneur du XIV conge international des orientalistes, Alger 1905. Paris, 1908.

(5) يعني به المؤتمر العالمي للمستشرقين المنعقد بالجزائر في 1905 .

وإذا نظرنا الى قيمة هذا العمل من حيث هو تاريخ عام للاباضية فإنه لا يكتسب هذه القيمة التي يكتسبها تاريخ أبي زكرياء ، بل هو أشبه ما يكون بحكاية موجزة عن أمراء الرستميين كما هو وصف لمدينة تاهرت الاباضية ، وصف لحياتها ونزاعاتها الداخلية والخارجية هذه النزاعات التي أدت الى سلسلة حروب طويلة بين الاخوة ، ومع ذلك فإن هذه السيرة تبقى ذات أهمية لمن يريد معرفة بعض الحوادث والاخبار التي مر عليها المؤرخون الاباضيون مرور الكرام أو أنهم أغفلوها محافظة على دور الزعامة الدينية تنزيهاً وحرصاً على عدم الاضرار بسمعة المذهب⁽⁶⁾ .

أسست تاهرت سنة 144 هـ من طرف عبد الرحمن بن رستم في الظروف التي يعرفها الجميع ، وسرعان ما ازدهرت وكثر سكانها المتكونون أساساً من جماعة قادمة من نفوسة تابعة أمامها (عبد الرحمن) ومن بعض المهاجرين من افريقيا ، غير أن الاباضية المتجمعين في المدينة الجديدة لم يسندوا الامامة الى عبد الرحمن الا حوالي 160 هـ أو 162 هـ حسب أبي زكرياء .

فورنيل (Fournet) يظن أنه من المنطقي اعتبار حكم عبد الرحمن يبدأ من السنة نفسها التي أسست فيه تاهرت (البربر ، ص : 90، 91) ، أنه على العكس تماماً اذ من الطبيعي اعتبار بداية امامته سنة 160 هـ ، والواقع أنه ينبغي ألا ننسى أن أبا حاتم الملوذي - الذي يعتبره المؤرخون السنيون مجرد زعيم لثورة البربر - قد عينه الاباضية (اماماً للدفاع) سنة 145 هـ واستطاع بذلك أن يتزعمهم ويجمع حوله كل قوى الخوارج حتى

(6) يبدو موتيلانسي هنا مبالغاً لان ماورد في تاريخ ابن الصغير عن الفتن الداخلية لا يختلف عما ذكره أبي زكرياء مثلاً .

(7) لم نهدى الى هذا المصدر المشار اليه هنا .

سنة 155 هـ السنة التي قتل فيها أبو حاتم بمكان يدعى (جنبي) وذلك من طرف جنود يزيد بن حاتم .

هذه الكارثة التي أدت - حسب النويري - الى افناء ثلاثين ألفا من البربر وهي ضربة موجعة للخوارج اذ كانت السبب ، غالبا في حركة الهجرة من نفوسة ومن هواره ومن القبائل الأخرى نحو المغرب الأوسط فرارا من سلطة يزيد بن حاتم ، وهكذا تجمع الاباضية حول عبد الرحمن بن رستم ، وبذلك تزايدت جماعاتهم وارتفع سكان مدينة تاهرت مما سمح بسكان المدينة والبادية الاباضيين بمنح اسم « الامام » لزعيمهم عبد الرحمن بن رستم ، وهكذا تأسست في قلب المغرب مملكة بربرية يحكمها أمراء اباضيون من أصل فارسي ، ويتتابعون في الحكم حتى سنة (296 هـ) .

المؤرخون يذهبون الى أن امامة عبد الرحمن دامت ست أو ثمان سنوات ، ولكن المؤرخ ابن الصغير يخبرنا ببساطة وبحسن نية ، وبالأأسف بأنه نسي عدد سنوات حكم عبد الرحمن ، وبشهادة الجميع فان عبد الرحمن كان مثالا للبساطة والزهد والنزاهة ، ويخلفه ابنه عبد الوهاب الذي حكم مدة طويلة دامت أربعين سنة وكانت السنوات الأولى لحكمه هادئة سعيدة ، ولكن سرعان ما كثرت النزاعات ، والصراعات المستمرة بنظريات دينية حول الامامة وأحقيتها - وهي التي طالما حللها أبو زكرياء - كما راح عنصر البدو يطمحون - كما كانوا يفعلون ذلك في النجود والصحراء - الى القيام بدور بارز في تسيير شؤون المدينة والتأثير مباشرة في الامامة ، وهنا نرى أول انشقاق داخل المدينة ويتولد عنه ظهور فرقة « النكار » ، وهكذا سال الدم من هنا وهناك ، مما أدى الى قتل ميمون بن عبد الوهاب من طرف المنشقين ، وحسب رواية أبي زكرياء فان الامام نفسه لم يفلت من ضرباتهم الا بفضل حزمه ، ويقظته ، ان المدينة البربرية حيث كان الاتحاد

والوفاق سائدا أصبحت لها صفوفها وقد أخذ التفرق والتحزب يعمل حتما على انهيار المملكة .

وخلف أبو سعيد أفلح أباه عبد الوهاب ، وكان حكمه أطول حكم عرفته الدولة الرستمية اذ دام خمسين أو ستين سنة ، كان متصفا بالحزم والشجاعة ، وقد تهيأ للزعامة بفضل الحروب التي لعب فيها دورا ملحوظا ، وقد تحول للتسيير قبل وفاة أبيه واستطاع أن يحكم بكل جدارة واستطاعت تاهرت أن تشهد في عهده تحولا هاما ، وبفضل حنكته السياسية استطاع أن يجمع حوله القبائل ويحصل على هيبتها مع المحافظة على السلم والاستقرار بين الاباضية وغيرهم من سكان المدينة أما أبو بكر ابن أفلح فلم يصل الى الحكم ، بعد وفاة أبيه الا بفضل غياب أخيه أبي اليقظان الذي سجنه العباسيون حين ذهابه لاداء فريضة الحج⁽⁸⁾ ، وكان أبو بكر فارسا وسيما يحب الآداب واللهم ، ولا يملك صرامة اسلافه مما جعل صهره محمد بن عرفه يسيره كما يشاء .

وبعد عودة أبي اليقظان من المشرق أخذ يتهيأ في سرية تامة للوصول الى الحكم متظاهرا بالاحترام التام لأخيه ، وكان يعمل جاهدا لاكتساب الشعبية ، واستطاع بذلك أن يجمع حوله جماعة نفوسة ذات الاهمية فهي معروفة بمساندتها الدائمة للأسرة المالكة الرستمية ، واغرى أبو اليقظان أخاه ليتخلص من محمد بن عرفه الذي بدأ يقلقه ، ولكن اغتيال هذه الشخصية التي كان لها تأثير معتبر في المدينة أدى الى حرب أهلية طويلة .

وهكذا اضطر أبو بكر الى مغادرة المدينة حيث أصبحت الفوضى ضاربة أطنابها لعدة سنوات .

(8) سجنه الوثائق مع أخيه المتوكل ببغداد ثم أطلق سراحه هذا الأخير بعد توليته الحكم .

ما أبو اليقظان فقد أوى الى قبيلة (لواته) مع نصرائه الذين استطاع ان يكسبهم الى جانبه وهنا نصب اماما ، ووجد نفسه ملزما بالعودة الى المدينة والاستعانة بقوات نفوسة وطرابلس ، وبمساعدهم استطاع أن ينتصر على آخر المقاومين ، ويأخذ السلطة نهائيا .

ان كتاب السير أغفلوا الحديث عن نهاية أبي بكر كيف كانت ، وابن الصغير يقرر أن مدة حكم أبي اليقظان دامت أربعين سنة ، ويحدد سنة موته بعام (281 هـ) .

ويخلف أبا اليقظان ابنه حاتم يوسف الذي جاءت به الى الحكم احدى لفرق بالمدينة دون موافقة القبائل الأخرى وهو ما جعل مدة حكمه - التي يقول المؤرخون أنها دامت احدى عشرة سنة - مليئة بالحروب الاهلية لدامية .

ان موقعة (مانو) (9) (283 هـ) كانت الضربة القاضية للخوارج في المغرب الشرقي وهزت سلطة بني رستم في جميع الانحاء .

ان اسرة بني رستم اصبحت متعددة منقسمة على نفسها بسبب الإحن والحروب وهو ما ساعد ولا شك ، على اضعاف سلطة الحكام الرستميين وأصبحت القبائل تملك سلطة مصير الحكام الذين أصبحت تعيينهم كما تشاء وتهوت ، وهذه الصفة رأينا طرد أبي حاتم من المدينة والتجاءه الى قبيلة حوارة المتحالفين معه لحرب عمه يعقوب بن أفلاح الذي عين اماما خلفا له ، استطاع عزله بدوره وبمساعدة القبائل دائما استطاع استرجاع الحكم .

ونما يتوقف تاريخ ابن الصغير ، ونستطيع عن طريق أبي زكرياء أن

(9) أنظر تفاصيل هذه الواقعة بتاريخ أبي زكرياء . ت. اسماعيل العربي الجزائر 1979 .

نعرف أن يعقوب بن أفلاح استطاع الفرار من تاهرت ابان سقوطها في شوال من سنة (296 هـ) ويلجأ الى مدينة ورجلان مع ولده ابو سليمان .

أما بالنسبة لأبي حاتم الذي يذكره ابو زكرياء في الصفحات (217-218) (10) فان حكمه انتهى بعد قتله من طرف أخيه اليقظان أو من طرف أبناء هذا الاخير ونعلم أن اليقظان - الذي لم يستطع الحفاظ على الحكم الا مدة قليلة - قتله الداعي أبو عبد الله الشيعي مع عدد كبير من عائلة بني رستم .

وهكذا تزول تاهرت الاباضية بعد (152 سنة) من الوجود وتُخمد دولة بني رستم التي طبقت الامامة مدة (134 أو 136 سنة) .

ان تسلسل الاحداث التاريخية لهذه الاسرة ما يزال غير ثابت ، (3)

ولا يمكن الاطمئنان الى التواريخ التي يقدمها ابن الصغير أو آخرون عن مدد حكم الامراء الرستمين ان هذه المدد ثلاثون ، ... أربعون ... أو خمسون سنة ان هي الا أرقام عشرية تقريبية ، والواقع أن المرء يستطيع بعد جمع هذه الأرقام التي تؤرخ مدة حكم الرستمين - دون عدد مدة أبي بكر ويعقوب - أن يدرك أن مجموعها يتجاوز المدة التي عاشتها الدولة الرستمية نفسها . وفي هذا الشأن يمكن الرجوع الى الجدول التاريخي الذي أعده (رينيه باسيه Rene Basset) بعد مقدمة بحثه القيم مزارات جبل نفوسة (11) .

وقد شكلي

(10) لم يوضح موتيلانسكي هنا النسخة التي اعتمدها . وهي ولا شك مخطوطة لكن يمكن الرجوع الى تحقيق اسماعيل العربي لكتاب سير الأئمة لأبي زكرياء ص 99

(11) يشير هنا الى كتاب Basset R. les sanctuaires du djebel neffoussa, Paris. 1889.

ذكر بعض الاخبار في الأئمة الرستمين منقول من ابن الصغير .

ولاية عبد الرحمن بن رستم

أخبرني غير واحد من الاباضية عن من تقدم من آبائهم
قالوا لما نزلت الاباضية ⁽¹⁾ مدينة تاهرت ⁽²⁾ وارادوا عمارتها
اجتمع رؤساؤهم فقالوا قد علمتم انه لا يقيم امرنا الا امام ⁽³⁾

(1) الإباضية فرقة من الفرق الإسلامية ، يرجع بروزها إلى النصف الثاني من القرن الأول الهجري ، ونسبت إلى عبد الله بن إياضي التيمي الذي كان في الحقيقة لا يصدر في أمره إلا عن الإمام جابر بن زيد الأزدي التابعي ، إذ يعتبر هذا الأخير عند الإباضية أس المذهب وإمامه . واشتهرت الإباضية ضمن فرق الخوارج ، فهي وإن كان ظهورها مرتبطا بتلك الحركة ، إلا أنها انشقت عنها لما ظهر غلو بعض المتطرفين من الخوارج ، فبرزت فرقة مستقلة منفصلة عن الخوارج منذ بداية النصف الثاني من القرن الأول الهجري . أنظر الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج 2 ص 205 ، الشماخي : سير ، ص 77 ، عوض خليفات : نشأة الحركة الإباضية ، ص 44 وما بعدها ، مهدي هاشم طالب : الحركة الإباضية في المشرق ، (رسالة ماجستير غير مطبوعة) بغداد ، 1977 . بحاز إبراهيم : الدولة الرستمية (رسالة ماجستير نوقشت في بغداد سنة 1983 م) ، ص 80-73 .

(2) من المعلوم أن الإباضية نزلوا موضع تاهرت ، وهم الذين بنوا المدينة فيما بعد ، وليس كما يمكن أن يفهم من نص ابن الصغير الذي جعل تاهرت مدينة مبنية نزلها الإباضية . ولا بد من الإشارة إلى أن لفظ تيهرت أضبط من تاهرت ، كما أن تيهرت أو تاهرت مدينتان قديمة وحديثة ، وتقع تيهرت (العاصمة الرستمية) على بعد 9 كيلو مترات من تيهرت اليوم ، وتبعد عن مدينة الجزائر العاصمة في الشمال الشرقي منها بحوالي 430 كلم وتفصلها مسافة 240 كلم عن مدينة وهران في الشمال الغربي منها . أنظر البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص 68-67 ، أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص 138 أبو زكرياء : سير ، ص 53 ، أطفيش : الرد على العقبي ، ص 70 وأنظر خاصة بحاز إبراهيم : الدولة الرستمية ، الفصل الثاني من الباب الأول ص 81 وما بعدها .

(3) تنقسم الإمامة عند الإباضية إلى أربعة أقسام تعرف بمسالك الدين وهي إمامة الظهور والدفاع والشراء والكتمان . أنظر شروح هذه الأنواع من الإمامة في المقدمة التوحيد لأبي حفص عمر بن جميع ، ص 72-69 ، عوض خليفات : النظم الإجتماعية والتربوية عند الإباضية في شمال

رجع اليه في احكامنا وينصف مظلومنا من ظالمنا ويقيم لنا
سلاتنا ونؤدي اليه زكاتنا ويقسم فينا ، فقلبوا امرهم فيما
بينهم فوجدوا كل قبيل منهم فيه راس او راسان او اكثر
مدبر أمر القبيل ويستحق امر الامامة فقال بعضهم لبعض
م رؤساء ولا نأمن ان يتقدم واحد على صاحبه فتفسد نيته
ويعمل المقدم ان يرفع اهل بيته وعشيرته على غيرهم فتفسد
سيات ويكثر الاختلاف ويقل الائتلاف ولكن هذا عبد
الرحمن بن رستم⁽⁴⁾ لا قبيلة له يشرف بها ولا عشيرة له
مميته وقد كان الامام أبو الخطاب⁽⁵⁾ رضي لكم عبد الرحمان
دنيا وناظرا فقلدوه اموركم فان عدل فذلك الذي اردتم
وان سار فيكم بغير عدل عزلتموه ولم تكن له قبيلة تمنعه ولا
شيرة تدفع عنه . فأجمعوا رأيهم على ذلك ثم نهضوا اليه مبايعته إماما

فريقية في مرحلة الكتان ، ص 109-113 ، بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 79-80 . والجدير
بالذكر أن نص ابن الصغير يشير إلى إمامة الظهور .

(4) عبد الرحمن بن رستم (160 هـ - 171 هـ) مؤسس الدولة الرستمية ، تكاد المصادر جميعا
تتفق على أن عبد الرحمن فارسي الأصل حتى الذين عاصروا الرستميين مثل اليعقوبي تجعلهم من
فارس إلا أن ابن الصغير لا يشير صراحة إلى هذا السبب وإنما يذكر أن عبد الرحمن لا قبيلة له
يشرف بها ولا عشيرة تحميه . أما المسعودي فيرى أن الرستميين من الأشيان الذين اختلف في
نسبهم فمنهم من يقول أنهم من ملوك فارس الأولى ، ومنهم من يذهب إلى أنهم من ملوك
لأندلس اللذارقة (جمع لذريق) والمسعودي مع هذا الرأي الأخير . حول نسب عبد الرحمن بن
رستم أنظر بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، الفصل الثاني من الباب الأول « عبد الرحمن بن رستم
حياته ونسبه » ص 92 وما بعدها . وارجع إلى : اليعقوبي : البلدان ، ص 104 المسعودي : مروج
ذهب ، ج 1 ، ص 186 ، 357-358 .

(5) أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني ، أحد حملة العلم من الإباضية إلى
غرب أخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة إمام الكتان في البصرة بعد جابر بن زيد
الأزدي . التقى أبو الخطاب اليمني ببعثة المغرب في مدرسة البصرة وتتكون تلك البعثة من عبد
الرحمن بن رستم وعاصم السدراتي وأبي داود القبلي النفزاوي وإسماعيل بن درار القدامي . مكث
جميع في البصرة عند أبي عبيدة مدة خمس سنوات (135 هـ - 140 هـ) فتكونت بذلك ، ما

باجمعهم وقالوا يا عبد الرحمن رضيك الامام في ابتدائنا⁽⁶⁾
ونحن الآن نرضى بك ونقدمك على انفسنا فقد علمت انه لا
يصلح امرنا الا امام نلجأ اليه في امورنا ونحكم عنده فيما
ينوب من اسبابنا . فقال لهم ان اعطيتوني عهد الله وميثاقه
لستطيعوا الي ولتطيعوني فيما وافق الحق وطابقه قبلت ذلك
منكم فاعطوه عهد الله وميثاقه على ذلك وشرطوا عليه مثل
ما شرط عليهم وقدموه على انفسهم والقوا اليه بايديهم .
فسار بهم بسيرة جميلة حميدة اولهم وآخرهم ولم ينقموا عليه
في احكامه حكما ولا في سيره سيرة⁽⁷⁾ ، وسارت بذلك
الركبان الى كل البلدان ، وكانت له قصص حكوها لا يمكن
ذكرها الا على وجه ، وان اتم الصدق فيها ولا احرفها على
معانيها ولا ازيد فيها ولا انقص منها ، اذ النقص في الخبر
والزيادة فيه ليس من شم ذوى المروءات ولا من أخلاق
ذوي النديانات ، وان كنا للقوم مبغضين ولسيرهم كارهين
ولذاهبهم مستقلين ، فنحن وان ذكرنا سيرهم على ما اتصل

يعرف عند إباضية المغرب . بحملة العلم الخمسة . ولما تمت البعثة بالرحيل والعودة إلى المغرب
لنشر المذهب الإباضي ، اقترح عليها شيخها أبو عبيدة إن أنسوا من أنفسهم قوة وأرادوا إعلان
إمامة إباضية ، أن يعقدوها لأي خطاب وكان كما اقترح إذ بويح أبو الخطاب بالإمامة سنة 140 هـ
واستطاع أن يدخل القيروان سنة 141 هـ . فعين عبد الرحمن بن رستم والياً عليها أو قاضياً
وناظراً بتعبير ابن الصغير . أنظر : أبو زكرياء : سير ، ص 37 . الدرجيني : طبقات ، ج 1 ،
ص 19، 23، 29 . محمد إسماعيل : الخوارج في المغرب الإسلامي ، ص 64-65 ، بحاز ابراهيم : الدولة
الرستمية ، ص 65 .

(6) يشير هنا إلى تعيين أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري عبد الرحمن بن رستم
والياً على القيروان سنة 141 هـ .

(7) تكاد رواية ابن الصغير توافق الرواية الإباضية فيما يخص تولية عبد الرحمن بن رستم
أنظر : أبو زكرياء : سير ، ص 53-54 ، الدرجيني : طبقات ج 1 ص 41 .

بنا وعدلهم فيما ولوه فلسنا ممن تعجبه طلاوة أفعالهم ، ولا حسن سيرهم ، لما نعلمه من براءتهم ممن وآلاه رسول الله ﷺ وقال « من كنت مولاه فعلي مولاه »⁽⁸⁾.

عبد
عبدالرحمن

أخبرني غير واحد من وجوه الإباضية عن سلفهم ، لما ولي عبد الرحمن بن رستم ما ولي من أمور الناس شمر ميزره وأحسن سيرته وجلس في مسجده للارملة والضعيف ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، فطار ذلك في اطراف الارض مشارقها ومغاربها حتى اتصل ذلك من اخوانهم من اهل البصرة⁽⁹⁾ وغيرها من البلدان ، فلما علموا ذلك من أمره جمعوا أموالا عظيمة وبعثوا بها مع نفر من ثقاتهم ، وقال بعضهم لبعض : قد ظهر بالمغرب امام ملاء عدلا ، وسوف يملك المشرق ويملاء عدلا ، فانهضوا اليه بما معكم من هذه الاموال حتى تردوا المدينة التي سكنها فان كان على ما تقل لنا من حسن طريقته وصحة سيرته فادفعوها اليه ، وان كان على غير ذلك فانظروا الى أفعاله وما يتولاه من الاحكام بين رعيته ثم أتونا بذلك كله ، فمضى القوم حتى أتوا

(8) حديث « من كنت مولاه فعلي مولاي ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » حديث صحيح أخرجه الترمذي ، المجلد الرابع ، صفحة 327 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ويذكر ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة هذا الحديث تحت رقم 1750 . وبعد ذكره عدة طرق للحديث قال « وللحديث طرق أخرى كثيرة ، جمع طائفة كبيرة منها الهيثمي في المجمع ، وقد ذكرت وخرجت ما تيسر لي منها مما يقطع الواقف عليها بعد تحقيق الكلام على أسانيد بصحة الحديث يقيناً ، وإلا فهي كثيرة جداً ... قال الحافظ ابن حجر منها صحاح ومنها حسان » الألباني : سلسلة الأحاديث الصحيحة وثنى من فقهها وفوائدها ، ط 2 ، م 4 ، المكتبة الإسلامية عمان . الدار السلفية الكويت 1404 هـ / 1983 م . ص 330 ، 343 .

(9) يقصد هنا إباضية البصرة ، إذ من المعلوم أن البصرة هي مهد الإباضية ومنها انطلق المذهب الإباضي نحو مختلف الآفاق .

المدينة ونزلوا المصلى الذي به اليوم قبر⁽¹⁰⁾ مسالة ، فاناخوا جالهم ووضعوا أحمالهم وتقدموا مع القادمين معهم حتى دخلوا من الباب المعروف بباب الصفا⁽¹¹⁾ يسألون كل من لقوه من الناس عن دار الامام عبد الرحمان ، حتى وقفوا عليها وأصابوا عند بابها غلاما يعجن طينا ورجلا على سطح يصلح شقا في فيه ، والغلام يناوله ما يصلح به فسلموا على الغلام فرد السلام ثم قالوا هذه دار الامام ؟ فقال نعم ، فقالوا له استأذن لنا منه وأعلمه أنا رسل اخوانه اليه من البصرة ، فرفع الغلام رأسه الى سيده وقد علم انه سمع كلامهم ، فقال قل للقوم يصبروا قليلا ، ثم اقبل على ما كان عليه من اصلاح عمله حتى انتقض والقوم ينظرون اليه وهم شاكون فيه هل هو صاحبهم ام لا ، حتى نزل عن سطحه الى داره فغسل ما كان بيده من أثر الطين ثم توضأ وضوء الصلاة فأذن للقوم فدخلوا عليه فوجدوا رجلا جالسا على حصير فوقه جلد وليس في بيته شيء سوى وسادته التي ينام عليها وسيفه ورجله وفرس مربوط في ناحية من داره ، فسلموا عليه وأعلموه أنهم رسل اخوانه اليه ، فأمر غلامه باحضار طعامه فاتاه بمائدة عليها قرص سخن وسمن وشيء من ملح ، فأمر بتلك القرص فهشمت وأمر بالسمن فلتت به ، ثم قال : على « اسم الله » أدنوا وكلوا ثم أكل معهم

(10) في نسخة الشيخ أبي اليعقوبان وردت (بئر مسالة) ولعل ذلك من تصحيحاته .

(11) من المعروف أن لتيهت أربعة أبواب فبالإضافة إلى باب الصفا الذي ذكره ابن الصغير هناك باب الأندلس وباب المنازل وباب المطاحن ، أنظر البكري : المغرب ، ص 66 ، الباروني : الأنهار الرياضية ، ج 2 ، ص 27 .

بأكلهم ، فلما انقضى طعامهم قال : ما مرادكم وما جاء بكم ؟ فقالوا له نحب ان تاذن لنا حتى نخلو فيما بيننا ثم نكلمك بعد ذلك فقال افعلوا فجلسوا نجيا فقال بعضهم لبعض يكفيننا من السؤال عنه ما رأينا منه من اصلاحه لداره بنفسه ، ومطعمه وملبسه ، وحلية بيته ، فما نرى الا ان ندفع اليه الماك ولا نشاور احدا فيه ، وكان الذي معهم من المال ثلاثة اجمال . فأجمع رأيهم على حمل المال اليه ، ورجعوا اليه ثم أقبلوا عليه ، فقالوا ، أعزك الله ، معنا ثلاثة اجمال من المال بعث بها اليك اخوانك لتنفق بها على زمانك وتصلح به شأنك ، فقال هذه الصلاة قد حضر وقتها ونحن نخرج الى المسجد الجامع فنصلي بالناس ونعلمهم بما جئتم به ، فقالوا الامر اليك . فخرج وخرجوا حتى اتوا المسجد الجامع فصلى بالناس فلما انصرف من صلاته نادى مناد الا يتخلف من كل قبيلة وجوهم ففعل الناس ذلك ، فلما انقضى الناس وبقي من يفوض اليه الامر من وجوهم ، قال للرسول اعلموا اخوانكم لما جئتم له ؟ فأعلموهم بمثل ما أعلموه ، ثم عطف على الناس فقال ما ترون ، فقالوا ان هذا رزق ساقه الله الينا من طوع اخواننا بلا سؤال منا فترى ان ترسل الى هذا المال وتحضره بين يديك فتجعل منه ثلثا في الكراع (12) وثلثا في السلاح وثلثا في فقراء الناس وضعفائهم ، فقال للرسول قد سمعتم ما يقول اخوانكم فما تقولون ؟ قالوا نقول

(12) الكراع اسم يجمع الخيل والسلاح وربما المقصود به في نص ابن الصغير الخيل فقط .
أنظر ابن منظور : لسان . م 3 ، ص 245 .

سمعا وطاعة ، فاحضروا المال فقال عبد الرحمن أريد ان تقيموا حتى يصرف المال في وجوهه ثم تنصرفون الى اخوانكم فتعلمونهم ذلك ثم جزأوا المال اثلاثا امتثال ما عقدوا عليه وذلك بمحض من الرسل ، ثم قال للرسول انصرفوا على بركة الله اذا شئتم (13) . (وأنه لما وصل المال ، واشتروا للقوم الكراع والسلاح وقوي الضعيف وانتعش الفقير حسنت احوالهم وخافهم جميع من اتصل به خبرهم وأمنوا ممن كان يغزوهم من عدوهم ورأوا أنهم قادرون على غيرهم ومن كانوا يخافون ان يغزوهم ، ثم شرعوا في العمارة والبناء وإحياء الاموات (14) وغرس البساتين واجراء الانهر (15) واتخاذ الرحاء (16) والمستغلات (17) وغير ذلك ، واتسعوا في البلد وتفسحوا فيها وأتتهم الوفود والرفاق من كل الامصار واقاصي الاقطار ، فقال (18) : ليس احد ينزل بهم من الغرباء الا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم (19) لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة

رخاء وأمن
الدولة الرسمية

(13) لا تختلف رواية ابن الصغير عن رواية المصادر الإباضية إلا في بعض الإضافات . أنظر أبو زكرياء : سير ، ص 54 ، الشماخي : سير ، ص 140 .
(14) إحياء الأرواح الميتة .
(15) النهر جمعه أنهار ونهر لذلك يكون « الأنهر » خطأ ابن منظور لسان ، م 3 ، ص 728 .
(16) الرحي تجمع على أرح وأرحاء ورحي ورحية والأخيرة نادرة لذلك يكون استعمال « الرحاء » خطأ . ابن منظور : لسان ، ج 1 ، ص 1144 .
(17) المستغلات وردت في الأصل المستقلات وهي لا معنى لها . أما المستغلات فهي من أصل كلمة غلة ومعناها الدخل من كراء دار وأجر غلام وفائدة أرض ، واستغلال المستغلات : أخذ غلتها . وأغلت الضيعة : أعطت الغلة . ابن منظور : لسان ، ج 2 ، ص 1010 .
(18) فاعل الفيل « قال » ضمير مستتر تقديره من أخبر ابن الصغير من وجوه الإباضية وكثيراً ما يستعمل ابن الصغير هذه الطريقة فيذكر الفعل « قال » أو « قالوا » ويهمل الفاعل .
(19) وردت في الأصل أظهارهم وهي خطأ لأن جمع « ظهر » أظهر وظهور وظهران . ابن منظور : لسان ، ج 2 ، ص 655 .

امامه وعدله في رعيته وأمانه على نفسه وماله ، حتى لا ترى دارا الا قيل هذه لفلان الكوفي ، وهذه لفلان البصري . وهذه لفلان القروي ، وهذا مسجد القرويين ورحبتهم ، وهذا مسجد البصريين ، وهذا مسجد الكوفيين ، واستعملت السبل الى بلد السودان⁽²⁰⁾ والى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة ، فأقاموا على ذلك سنتين او أقل من ذلك او اكثر ، والعمارة زائدة والناس والتجار من كل الاقطار تاجرون ، فلما كانت السنة الثالثة اجتمعت الإباضية بالمشرق وتراسلوا فيما بينهم ، وقدم القوم وجمعهم البصرة فقال بعضهم لبعض ، اذا اتصلت بهم الاخبار من كل الاقطار مع ما جاءتهم به رسلهم مما عاينوه وشاهدوه ، امامكم بالمغرب خلف من ابي بلال مرداس بن ادية⁽²¹⁾ ومن ابي حمزة الشاري⁽²²⁾ ، فلا تدخروا عنه مالا ولا تحبسوا عنه

(20) السودان كلمة أطلقها الجغرافيون العرب المسلمون وهم أول من أطلقها على الشعوب السوداء التي تسكن إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى والراجع أن الكلمة مستوحاة من لون بشرة تلك الأقوام . وينقسم السودان إلى ثلاث مناطق هي : السودان الشرقي والسودان الأوسط والسودان الغربي . ولعل ابن الصغير يشير إلى السودان الأوسط والغربي . أنظر الكتب الجغرافية القديمة مثل بلدان اليعقوبي أو مسالك وممالك الإصطخري وابن خردادبة وغيرهم . وراجع دائرة المعارف الإسلامية مادة « السودان » م 12 ، ص 347، 334، 327 . بحان إبراهيم : الدولة الرسمية ، ص 206 وما بعدها .

(21) أبو بلال مرداس بن أدية التميمي ، من الثروة الإباضية الذين ثاروا ضد ولاية بني أمية في المشرق . أنظر ترجمته في : المبرد أبو العباس محمد بن يزيد : الكامل في اللغة (باب الخوارج) ، ص 82، 52 . الدرجيني : طبقات ، ج 2 ، ص 226، 214 . عوض خليفات : نشأة الحركة الإباضية ، ص 65 وما بعدها .

(22) أبو حمزة الشاري هو المختار بن عوف الأزدي . قام بثورة عارمة في الحجاز في أيام الخليفة الأموي مروان بن محمد (132-127 هـ) . أنظر ترجمته في ابن الأثير : الكامل ، ج 4 ، ص 316، 314، 307، 297 . الدرجيني : طبقات ، ج 2 ، ص 272، 258 . عوض خليفات : نشأة ، ص 117 وما بعدها .

عطاء وابعثوا اليه بجميع ما بأيديكم ليتقوى به على دينه وديناه ، فانكم تنالون بذلك شرفا عاجلا وغناء أجلا ، فأجمع رأيهم على ان يوجهوا اليه بعشرة اجمال من المال وارسلوا الى رسلهم الاولين وأعلموهم بما جمعه من المال . وان ذلك كله في سر وخفاء من العمال والاجناد لئلا يطلعوا عليهم فيهلكوهم ، وسألوهم كتمان ذلك فأجابتهم الرسل الى ما دعوهم اليه من حمل الاحمال وتوجيههم بها الى عبد الرحمان ، فلم تزل بذلك حتى اتت البلد ونزلت بالموضع الذي نزلت به أولا ، ثم توجهت نحو عبد الرحمن فوجدوا الامور قد تبدلت واحوال المدينة والاشياء قد حالت وذلك انهم نظروا الى قصور قد بنيت وإلى بساتين قد غرست وإلى ارحاء قد نصبت وإلى خيول قد ركبت وإلى حفدة قد اتخذت السور⁽²³⁾ والعبيد والخدام قد كثرت فلما رأوا ذلك تحولت نياتهم الى ان قصدوا قصر صاحبهم فلقوه على ما عرفوا من التواضع فلم يعلموه بما أتوا به ولا ما حركهم اليه حتى لقوا رجالا ممن يثقون بهم في دينهم⁽²⁴⁾ ويسند اليهم في امورهم فسألوهم عن احوال عبد الرحمن هل تغيرت وعن احكامه هل تبدلت ، فقالوا بل هو على ما عاينتموه عليه ، ما تغير ولا تبدل ، ثم أعلموهم بما جاءوا به من المال وعدد الاحمال فقالوا لهم ادفعوها اليه فانهم لا يصرفها الا في وجهها

(23) لعل المقصود بالسور هنا هو الأبنية إذ السور هو كل منزلة من البناء ، أنظر لسان العرب ، م 2 ، ص 237 مادة « سور »
(24) وردت في الأصل « أديانهم » وهي ضعيفة .

المعونة الثانية
ورفض
عبد الرحمن
قبولها

ومواضعها وما نحسبه يقبلها منكم ، فآخذوا بقولهم ثم اتوا عبد الرحمن فسلموا عليه وأعلموه بما قدموا به وبحال من خلفوه من اخوانه فسر بذلك . وسألهم عن احوالهم هل هم مستضعفون ام هم مستظهرون⁽²⁵⁾ ، وهل في سائرهم فقراء او اصحاب فاقة ، أم لا . فأعلموه انهم مستترون غير ظاهرين ، وانهم مستضعفون غير قادرين ، وان بجماعتهم مثل ما بجماعة الناس من الغناء والفقير ، ثم وعدهم ان يحضروا المسجد الجامع بعد صلاة الظهر ليعلموا اخوانهم بما قدموا به ، ففعلوا ذلك ، فلما انصرف الناس من صلاتهم . نادى مبادي عبد الرحمان ان يتخلف رجوه الناس وينصرف سائرهم ، ففعلوا ذلك ، وكان عبد الرحمن قد أمر الرسل بإحضار المال الى المسجد الجامع ليقف عليه ويرى عدده ، ففعلوا ذلك ، فلما انصرف عوام الناس ، وتخلف وجوههم . أمر بالاحمال فاحضرت ، ثم قال للرسل تكلموا فتكلمت الرسل الى الناس بمثل ما كلمت عبد الرحمان ، فقال عبد الرحمن للناس ما ترون ؟ قالوا الامر اليك ، فقال إذ اردتم الامر الي فياني أرى أن ترد هذه الاموال الى أهلها فيدفعونها لمن يستحقها من فقرائهم وضعنائهم . فإننا انما كنا قبلنا ما قبلنا منهم في اول بدء امرهم للحاجة التي كانت بنا اليه والفاقة التي لزمت عوام اخواننا ، فالآن انما مستغنون عن اموال غيرهم . فشق كلام

(25) يقصد بهذه العبارة الإباضية المشرق في إمامة الكتمان أم في إمامة الظهور ارجع لمعرفة هذه الأنواع من الإمامة إلى : أبو حفص بن جميع : مقدمة التوحيد ص 72-69 ، عوض خيغات : النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية ، ص 113-109 .

عبد الرحمن على الرسل وعلى جماعة من الناس فعاودوه على ذلك مرة بعد أخرى بالأيمان الغليظة فكررها⁽²⁶⁾ على نفسه الا اقبل منها دينارا ولا درهما ولا أدخل في يدي شيئا من ذلك ، فلما استيأس الرسل والناس من ذلك ، أمر برد الاموال الى أهلها . وانصرف الرسل بالاموال حتى وصلتها ، فعظم بذلك عند القوم حظ عبد الرحمن وزاد في قدره ، ورأوا انه لو كان طالبا دنيا لرغب في الاموال ، فعند ذلك رغب القوم في امامته ورأوا انها فرض عليهم⁽²⁷⁾ ، ثم لم تنزل الرسل تختلف وتطلع الاخبار عن الاحوال . والبلد زائدة عمارتها في ذلك كله ، والسيرة واحدة وقضاته مختارة وبيوت امواله ممتلئة ، واصحاب شرطته والطائفون به قائلون بما يجب ، واهل الصدقة على صدقاتهم يخرجون في اوان الطعام فيقبضون اعشارهم في هلال كل ...⁽²⁸⁾ من اهل الشاة والبعر ، يقبضون ما يجب على اهل الصدقات لا يظلمون ولا يظلمون ، فاذا حضر جميع ذلك صرف الطعام الى الفقراء وبيعت الشاة والبعر ، فاذا صارت اموالا دفع منها الى العمال بقدر ما يستحقون على عملهم ، ثم نظر في باقي سائر المال فاذا عرف مبلغه أمر باحصاء من في البلد وفيما حول البلد ثم امر باحصاء الفقراء والمساكين ، فاذا علم عددهم امر

النظام الاداري والاقتصادي

(26) وردت في الأصل « فكرها » ولعل الصواب ما أثبتناه في المتن .

(27) أنظر رواية المساعدات والأحمال من المشرق في المصادر الإباضية ، وتكاد تتفق مع ما ذكره ابن الصغير : أبو زكرياء : سير ، ص 54 ، الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، 45-46 ، الشامي : سير ، ص 140-141 .

(28) هكذا وردت في الأصل ، ويبدو أن كلمة سقطت لم ينقلها موتلنسي أو لعلها وردت كذلك في المخطوط الذي نقل عنه .

باحصاء ما في الأهرام⁽²⁹⁾ من الطعام ، ثم أمر بجميع ما بقي من مال الصدقة فاشترى منه أكسية صوفا وجبابا صوفا وفراء وزيتا ثم دفع في كل اهل بيت بقدر ذلك ، ويؤثر بأكثر ذلك أهل الفاقة من مذهبه⁽³⁰⁾ ، ثم ينظر الى ما اجتمع من مال الجزية وخراج الارضين وما اشبه ذلك ، فيقطع لنفسه وحشمه وقضاته وأصحاب شرطته والقائمين بأموره ما يكفيهم في سنتهم . ثم إن فضل فضل ، صرفه في مصالح المسلمين . فلم تنزل أموره كذلك وعلى ذلك والكلمة واحدة والدعوة مجمعة ولا خارج يخرج عليه ولا طاعن يطعن عليه . الى أن أختتمته المنية ، وأنقضت أيام مدته . وقد كنت وقفت على عدد امارته كم كانت ، ولكن نسيتهام مع مرور الايام⁽³¹⁾ ، وكان قد نشأ له في أيامه ولد يعرف بعبد الوهاب . وكان محمود الافعال ، وكان قادرا للقيام بعده فلما انقضت أيامه صيرت الاباضية الامر اليه بعده .

وفاته
عبد الرحمن

ولاية عبد الوهاب⁽³²⁾ وما كان من امره

اخبرني بعض الاباضية ان عبد الرحمان بن رستم لما مات ، قامت الاباضية فعقدت الامامة لابنه عبد الوهاب ، فكان ملكا ضخما وسلطانا قاهرا ، وعلى يديه افتقرت الاباضية ، وافترق كبرائهم ، وتسمى قوم منهم بالنكار⁽³³⁾ وتسمى منهم قوم بالوهبية⁽³⁴⁾ ، وهذا الاسم لست اعرفه ، وقد سمعت انهم إنما سمو بهذا الاسم لاتباعهم عبد الوهاب ، والذي اعرف من اسمائهم على ما حدثني به اهل المعرفة ان فرقة منهم يسمون باليزيدية يريدون من اتبع عبد الله بن

(32) عبد الوهاب بن عبد الرحمن (171-208 هـ) ثاني الأئمة الرسميين أنظر ترجمته في

المصادر الإباضية : أبو زكرياء : سير ، ص 56 وما بعدها ، الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 47 وما بعدها ، الشماخي : سير ، ص 144 وما بعدها .

(33) النكار : هم أتباع يزيد بن فندين أبو قدامة النكاري ، وسبوا بالنكار لأنهم أنكروا إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن وثاروا ضده . ولقد تطورت هذه الفرقة التي انسلخت عن الإباضية الأم . والجدير بالذكر أن ابن الصغير يفسر سبب تسمية النكار بهذا الاسم (أنظر الصفحة التالية) تفسيراً مخالفاً لما ذكره المؤرخون الإباضية . فربما هي حادثتان اختلطتا على ابن الصغير ولكن من المؤكد أن الرواية الإباضية هي الأصح والأرجح . أنظر أبو زكرياء : سير ، ص 58-65 ، الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 48-56 . الشماخي : سير ، ص 146-154 . عوض : النظم ، ص 116 .

(34) الوهبية هي الإباضية الأم الحاكمة في الدولة الرسمية . وهي نسبة إلى الإمام عبد الوهاب . وظهرت التسمية إثر فتنة النكار السالفة الذكر . أنظر خاصة عوض خليفات : النظم الإجتماعية والقرنوية ، ص 117 . وهناك من ينسب الوهبية إلى عبد الله بن وهب الراسبي . أنظر جواهر البرادي .

(29) الأهرام جمع هري وهو بيت كبير ضخيم يجمع فيه طعام السلطان . أنظر ابن منظور : لسان ، م 3 ، ص 801 .

(30) إذا كان ابن الصغير يشير إلى أن عبد الرحمن كان يؤثر بأكثر أموال الزكاة أهل الفاقة من مذهبه . فلا شك أن ذلك راجع إلى أن أغلب السكان من الإباضية ، وبالتالي يكون أغلب دافعي الزكاة من الإباضية وزكواتهم تعود إلى أهل مذهبهم كما أن زكاة غير الإباضية ترد إلى فقراء غير الإباضية . أما أن يمنعوها كلها فهذا ما لم تشر إليه المصادر بل تثبت العكس تماماً . وعن حق غير الإباضية في الزكاة في الدولة الإباضية أنظر الدليل والبرهان لأهل العقول لأبي يعقوب يوسف نوارجلاني . ج 3 ، ص 53-54 . الجيطالي اسماعيل : قواعد الإسلام ، ج 1 ، ص 104 .

(31) تولى عبد الرحمن بن رستم الإمامة مدة إحدى عشرة سنة أي من سنة 160 هـ حتى سنة 171 هـ ، أنظر الباروني : الأزهار ، ج 2 ، ص 99، 101، 159-163 . بحاز ابراهيم : الدولة الرسنية ، ص 118-119 وأنظر رأيا آخر في : جودت عبد الكريم يوسف : العلاقات الخارجية للدولة الرسنية ، ص 62 .

يزيد⁽³⁵⁾ ، وبالعمرية يريدون من أتبع عيسى بن عمر
وبعده أحمد بن الحسين⁽³⁶⁾ ، ورايت من يسمى بالوهبية
بيلون إلى هذين المذهبين⁽³⁷⁾ ويسمون أيضاً بالعسكرية ،
وهم أهل العسكر⁽³⁸⁾ ، وجل من كان عندنا في البلد من
نفوسة يتسمون بهذا الاسم ، وكان عبد الوهاب هذا قد اجتمع
الأزدهار

(35) اليزيدية وهم أتباع عبد الله بن يزيد . ولعل ما قاله الدكتور عوض خليفات من أن
النكار سموا باليزيدية نسبة ليزيد بن فندين له جانب من الصحة ومن هنا فمن المحتمل أن يكون
اليزيدية هم النكار لا غير ولعل هذه التسمية أطلقوها على أنفسهم رافضين كلمة « النكار » التي هي
اسمية مخلفيهم لهم . ونشير هنا إلى أن الشهرستاني ذكر « اليزيدية » وقال بأنهم أتباع يزيد بن
أسبه وأن هذا كان يتبرأ من جميع فرق الخوارج ويتولى الإباضية وذكر لليزيدية عدة اعتقادات
دخلة . فندها ابن حزم وقال بأن جميع الإباضية يكفرون من قال بشيء من تلك المقالات
وسبوا من منه . إلا أن ابن حزم يجعل اليزيدية نسبة إلى يزيد بن أبي أنيسة . أنظر ابن حزم :
المعسل في الملل ، ج 4 ، ص 188-189 الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج 1 ، ص 183 . عوض
خليفات : النظم ، ص 116 .

(36) العمرية وهم أتباع عيسى بن عمر وأحمد بن الحسين . لا نجد لهم ذكراً في كتب الملل
والنحل . وقد أشار إليهم أبو زكرياء في سيره ونقل عنه الدرجيني وقال بأن العمرية أو
العمرائية لا تجمعهم بالإباضية الكلمة من أول الأمر وأنهم يزعمون أنهم إباضية ويستندون مذهبهم
إلى عبد الله بن مسعود (ض) وهم تبع عيسى بن عمر . أبو زكرياء : سير ، ص 58 . الدرجيني :
لمبقات ، ج 1 ، ص 47-48 .

(37) إذا كانت اليزيدية كما قلنا سابقاً نسبة إلى يزيد بن فندين النكاري . والعمرية تنسب
فلسها إلى الإباضية وهي ليست منها ، فلا يقل أن يكون الوهبية . وهم الإباضية الأصل في شمال
مريقياً . يميلون إلى هذين المذهبين كما يقول ابن الصغير . والذي نراه أن معلومات ابن الصغير فيما
نص المذاهب والفرق التي انشقت عن الإباضية . معلومات مرتبكة لا دقة فيها . وقد أشرنا إلى
هذا في مسألة « النكار » (أنظر هامش 33 صفحة 37) ويتضح هذا الارتباك أيضاً في قوله
وهذا الاسم نست أعرفه ... والذي أعرف من أسمائهم على ما حدثني به أهل المعرفة ... وقد
هذا النص .

(38) العسكرية وهم أهل العسكر كما يقول ابن الصغير ويضيف بأن جل من كان في تيهرت
النفوسيين يتسمون بهذا الاسم . فلا شك إذن أن تكون هذه التسمية تحمية وظيفية وليست
هيبية كما قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة . خاصة وأن ابن الصغير جاء بها في معرض حديثه عن
تفرق في الإباضية والمذاهب المنشقة . فالعسكرية إذن هم حماة الرستميين والإباضية ولا أدل على
من قول الإمام عبد الوهاب : « إنما قام هذا الدين بسيف نفوسة وأموال مزاة » فنفوسة
كانت جند وعسكر الإمامة الرستمية .

له من أمر الإباضية وغيرهم ما لم يجتمع للإباضية قبله ، ودان
له ما لم يدن لغيره ، واجتمع له من الجيوش والحفدة ما لم
يجتمع لأحد قبله ، ولقد حكى لي جماعة من الناس أنه قد
بلغت سمعته إلى أن حاصر مدينة طرابلس وملاً المغرب
بأسره إلى مدينة يقال لها تلمسان ، فلم يزل كذلك وعلى
ذلك وأمور الناس مجتمعة وكلمتهم واحدة لا خارج عليه ولا
طاعن ، إلى أن حدثت الفرقة ولم يكن لأبيه عبد الرحمان
كتاب معروف من تأليفه ، وكان لعبد الوهاب كتاب
معروف بمسائل نفوسة الجبل⁽³⁹⁾ ، لأن نفوسة كتبت إليه في
مسائل أشكلت عليها فأجابها عن كل مسألة مما سألت عنه ،
وكان هذا الكتاب في أيدي الإباضية مشهوراً عندهم معلوماً
يتداولونه قرناً عن قرن ، إلى أن لحق الفصل فاخذته عن
بعض الرستميين فدرسته ووقفت عليه .

(39) يذكر الأستاذ محمد علي دبور هذا الكتاب باسم « نوازل نفوسة » ويقول بأنه لا يزال
موجوداً في مدن ميزاب وجبل نفوسة وجربة . وقد رأينا كتاباً بهذا العنوان في مكتبة الشيخ
بلحاج بالقرارة ، تصفحناه كله وهو يحتاج إلى تحقيق نسبته إلى عبد الوهاب . وقد قام الشيخ
أطفيش أحمد بترتيبه . أنظر دبور : المغرب الكبير ، ج 3 ، ص 272-273 . البرادي : الجواهر .
ص 219 .

بيان السبب الذي كان له وجه الافتراق

اخبرني غير واحد من الاباضية وغيرهم ، أن قبائل مزاتة وسدراته وغيرهم ، كانوا ينتجعون من أوطانهم التي هم بها من المغرب وغيرها في أشهر الربيع الى مدينة تاهرت واحوازاها لما حولها من الشلاً⁽⁴⁰⁾ وغيره ، وأنه لما أراد الله تبارك وتعالى من امر شتاتهم ما اراد انتجعوا اليه في سنة الفرقة اكل انتجاع ما انتجعوه⁽⁴¹⁾ قط ولو مرة ، وكانوا اذا انتجعوا دخل وجوهم ورؤسائهم المدينة ، فيبرون ويكرمون ثم يخرجون الى شياهم وبعيرهم فيقيمون بها الى طعنهم ، وانه لما كان الوقت الذي اراد الله ونزلوا المدينة خلا بهم وجوه اخوانهم ، فخلت مزاتة ببيضات المزاتة ومقاديمهم وخلا كل قبيلة من سكان المدينة بمن انتجع اليهم من رؤسائهم ، فقالوا لهم ان الامور قد تغيرت والاحوال قد تبدلت ، قاضينا جائر ، وصاحب بيت مالنا خائن ، وصاحب شرطتنا فاسق ، وإمامنا لا يغير من ذلك شيئاً ، وقد جاء الله بكم فادخلوا الى هذا الامام واسألوه عن قاضيه وصاحب بيت مالنا وصاحب شرطتنا ، وان يولى علينا خيارنا ، فاجابوهم

(40) الشلاً : بقية المال ، ولعل الصواب الكلاً والخطأ من الناقل .

(41) وردت في الأصل هكذا « أكل انتجاع انتجعوه قط » والتحريف واضح .

الى ما يسألون من ذلك ، فعدوا⁽⁴²⁾ على عبد الوهاب (أوفى كانوا)⁽⁴³⁾ فلما دخلوا عليه تكلم متكلمهم بحمد الله واثني عليه ، فقال له ان رعيته قد ضجت من قاضيك وصاحب بيت مالك والقائم بشرطتك فاعزلهم عنهم ، وولى عليهم خيارهم⁽⁴⁴⁾ ، فقال عبد الوهاب : جزاكم الله من وفد خيرا فقد تم من الاسلام ما يفتقده من كان مثلكم ، الامر اليكم قدموا من رأيتم واخروا من رأيتم ، فدعوا له واثنوا عليه ، فقالوا خيرا ثم انصرفوا ، فلما انصرفوا دخل على عبد الوهاب وجوه رجاله وقواده واهل بطانته ، فقالوا : ما بال اخواننا اتوك اليوم بأجمعهم فأخليت لهم مجلسك وحجبت من سواهم ؟ فذكر لهم ما قالوا له وما أشاروا عليه ، فقالوا له : وما أجبتهم به ؟ فذكر لهم جوابه ، فقالوا له : أسأت الى نفسك والينا والى جميع اخوانك ورجالك ، فقال : وكيف ذلك وما سألوا شططا وما قالوا الا خيرا ؟ فقالوا : ليس نظرهم عند ما قلت ولا معناهم عند ما رأيتم ولكن سألوكم ان تعزل قاضيك وصاحب بيت مالك والقائم بشرطتك ، فاذا فعلت ذلك شكروك وحمدوك ، ثم اتوك بعد ذلك فقالوا لك ان المسلمين قد تقموا عليك اشياء او على ولدك ، فان اجبتهم الى ذلك شكروك وحمدوك وان ابیت لهم من ذلك خلعتك ونبذوك ، ثم لا تأمن ، ولو اجبتهم

(42) وردت في الأصل فعدوا .

(43) هكذا وردت ، وهي شبه جملة زائدة لا معنى لها إلا أن تعني الكثرة إذا ما أضفنا إليها " ما " وتصبح " أوفى ما كانوا " ورغم ذلك تبقى غامضة ركيكة .

(44) وردت في الأصل " وولى عنهم " وهي لا تؤدي المعنى المقصود

الى كل ما سألوكم ان يأتوك فيقولوا لك ان المسلمين في ابتداء امرك لم يجتمعوا عليك فانخلع وردد اليهم امرهم ، فان اجتمعوا عليك جملة فزت بحظك وكان ذلك زيادة لك في شرفك ، قال : فما الذي افعل الآن فقد تقدم من جوابي لهم ما تقدم ، وقبيح لمثلي ان يرجع فيما قال ، فقالوا : لا عليك نحن نذكرك ان شاء الله ، فقال اذكروا على بركة الله ، فقال القوم : يأتونك بالغداة ويستخبرونك قلت لهم الامر على ما كنت معكم عليه الا ان لنا ولكم اخوانا لا غنى لنا ولكم عنهم ، يحضرون خلع من خلعتهم ، وعزل من عزلتم ، وتقديم من قدمتم فاذا قالوا لك ما في هذا من بأس فابعث الينا فنحن نكفيك الجواب ، فحمد لهم عبد الوهاب قولهم وشكر لهم فعلهم ، ثم قال : انصرفوا على بركة الله ، فلما كان الغد ، غدا القوم على عبد الوهاب فلما دخلوا عليه واخذوا مجالسهم ، استخبروه على ما عقدوه معه ، فقال لهم : الامر اليكم غير انه بقي من اخواننا من لا غنى بنا وبكم عنه في عزل من تعزلون وتقدمة من تقدمون ، ويقبح بنا وبكم ان يستأثر بهذا الامر دونهم لأن في ذلك فسادا لنياتهم وتغيرا لقلوبهم ، فقالوا : صدقت وبررت احضرهم فانهم سيجمعون على ما عقدناه ، فأرسل اليهم ، فلما دخلوا واخذوا مجالسهم ، اقبل عبد الوهاب على القوم فقال : اخبروا اخوانكم بما جئتم به وما سألتوه ، فاخبروهم بما كان من رأيهم ورأي امامهم ، فقالوا جزاكم الله عن الاسلام وعن المسلمين خيرا ولكن بقي شيء أنتم تعلمون انه لا يجب عزل قاض ولا صاحب بيت مال الا بجرحة تظهر عليه ، ولا

يجب عزل القضاة ببغى البغاة وسعي السعاة فأفحم القوم ولم يكن عندهم جواب ، الا ان قالوا ما هكذا كان عقدنا مع الامام بالامس ، ما هذا الا رأي حدث او امر أبرم ، ثم خرجوا حتى اتوا الكدية (45) المعروفة بكدية النكار وخرج اليهم من هو مثل حالهم وحلفوا الا يدخلوا العرب (46) او يعزل ما سألوا عزله ويحاكموا عبد الوهاب ومن معه ، فسموا من ذلك اليوم النكار ، وسمي الموضع بكدية النكار (47) ، ولما علم عبد الوهاب بمقامهم وحاجتهم وانهم غير مقلعين عما ذكروه او يحاكمونه ، جمع وجوه رجاله ورؤساء مقالته فاستشارهم فأجمع رأيهم على ان يبرزوا اليهم بعد الاعذار والانذار اليهم ، فأعذروا اليهم فلم يجيبوهم الى شيء مما عرضوه عليهم ، وخوفوهم سوء العقوبة ، فلما رأى ذلك عبد الوهاب ومن معه برز اليهم ، فما كان الا كلمح بالبصر الا وجميعهم صرعوا ، الا من شد وولى ، ولم يتبعوا موليا ولا أجهزوا لهم على جريح ، ثم انصرف عبد الوهاب نافلا بمن معه وولت القبائل الداعية الى مواضعها ، واستملك الامر لعبد الوهاب وبقيت حزازات النفوس في قلوب عشائر من قتل ، ثم اشتد امر عبد الوهاب وقوي عليه وانتقل من حال الامامة الى حال الملك .

(45) الكدية هي المكان المرتفع عن الأرض وهي أيضا صلابة تكون في الأرض ، ولعل المقصود بها هنا المكان المرتفع في مدينة تاهرت . أنظر ابن منظور : لسان ، ج 3 ص 232 .
(46) هكذا وردت في الأصل ولعلها محرفة من العرض أي الناحية أو لعلها الحرب وتكون « وحلفوا إلا يدخلوا الحرب أو يعزل ما سألوا عزله » .

(47) لا نجد هذه الرواية في المصادر الإباضية . ولقد ذكرنا أن تسمية النكار تختلف عند الإباضية عما ذكره ابن الصغير . والرواية الإباضية في رأينا أرجح ، أنظر أبو زكرياء : سير ، ص 58 وما بعدها ، الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 48 وما بعدها . الشماخي : سير ، ص 146 وما بعدها .

الافتراق الثاني

اخبرني بعض الاباضية ان جمع الناس من هوارة وغيرها من القبائل ، كانوا بازاء مدينة تاهرت ، وكان لهوارة رؤساء مقدمون يقال لهم الاوس ويعرفون بعد بيني مسالة ، قد ذكر لي بعض الاباضية انه كانت ابنة جميلة لبعض رؤساء البربر اما لواتة او غيرهم ، فخطب مقدم الاوس على نفسه او على ابنه فاجابوه الى ذلك ، وان بعض من كان يناوي بيني اوس من هوارة ، سعى الى عبد الوهاب فقال له ان فلانا قد خطب على نفسه او على ابنه ابنة فلان ، وقد علمت مكانه من قومه ومقامه عند الخاص والعام من الناس ، وإني لا آمن ان يزوجه ابنته ، فاذا زوجه اياها وقعت المصاهرة ، واذا وقعت المصاهرة صارت نسبة واذا انضمت قبيلة الى قبيلة ناواك في البلد . ولكن اخطب الى هذا الرجل ابنته اما على نفسك او على ابنك او على من سوف يؤثرك عليه . لسلطانك ، فأرسل عبد الوهاب الى الرجل فأحضره فأجلسه ، وخطب اليه ابنته فزوجه اياها ، فاتصل ذلك بالاوس فقال عمل علي في جارية خطبتها ورضي الي بتزويجها فاتزعها مني بسلطانه ، لا سألت بأرض هو بها ، وغضبت عشيرته لغضبه ، فارتحل نحو المغرب حتى نزل

هكذا وردت وهي ركيكة .

واذن هواره وبينه وبين المدينة نحو من عشرة اميال او
 ١٨٠ . فعمروا لنهر من اعلاه الى موضع اذاك قبائل من
 منهم اسم هواره . واحسب انه كان تقدم لهم عشائر من
 ... نهرهم بهذا الموضع وتآلف اليهم من نخا نخوم وهوى
 ... ثم لم تزل السعاة تضي بين الفريقين حتى اوقدوا نار
 ... فحدثني بعض الشراة عن تقدم من ابائه ان اول
 ... خرجت لهواره اصابته ولدا للبالغ بدشرات (١٨٠) بنهر
 ... له نهر ابي سعيد الله فقتلوه . فلم يجزوا له راسا ولا
 ... له ثوبا ولا اخذوا له فرسا ولا سرجا ولا لجاما .
 ... وشارت المسيحة الى المدينة فابتذر الناس فأصابوا
 ... الملام قتيلا . وصابوا فرسه وقتلوا عليه بسرجه ولجامه
 ... وسروا ثيابه بحلها . فاغتوا لذت اذ لم ياخذوا له سلبا .
 ... من بعضهم لبعض افتقدوه فاقتدوه فاصابوا خاتما قد زال
 ... من يده فكبر القوم وقالوا قد استحلوا الاموال وحل قتالهم .
 ... حمو قتيلاهم وصلوا عليه وواروه ثم اخذوا في التهيء
 ... الحرب وخروج الى عدوهم . فاجتمع الى عبد الوهاب ام
 ... كثيرة وخلق عظيم . واتصل خبر عبد الوهاب بهواره ومن
 ... الفه من الاباضية انه عد في عسكره الف فرس ابنق . قالوا
 ... وخرج عبد الوهاب رضي الله عنه بعسكره من المدينة في
 ... جموع لا يعلم عددها الا الله . قال واتصل خبر خروج عبد
 ... الوهاب ببني أوس فجمعت جموعها وعبت كتائبها على نهر

خروج
 عبد الوهاب
 لقتل
 بني أوس

(١٨٠) دشراة : لا يذكر ابن منظور هذه الكلمة وكذلك ابن دريد في جوهرة اللغة والتزيدي
 ل تاج العروس وتعني ضيعة باللهجة العامية في المغرب .
 * لم نفهم معنى «ولدا للبالغ» والمرجع يقصد به آدمياً .

يقال له نهر اسلان (١٨٠) ، قالوا وكان عبد الوهاب اصابته ريح
 فامر براحلته فرحلت وجعل عليها محملا وجعل عديله رجلا
 من نفوسة وقائد راحلته رجلا من نفوسة ، قال وكان القائد
 ربما عجل . ويقول الحمال رويدا مرددا (١٥٠) فيقال له ويحك
 انما قيل رويدا ، فيقول هو ذاك فلم يزل يسير حتى تراءت
 العسكران قال فعبا عبد الوهاب عسكره ، ورتب قواده
 وعبا بنو اوس هواره على مراتبها وغيرها ممن اطاعهم ، قال
 ثم جالت الخيل فكان قتال شديد له غبار سد ما بين
 الخافقين ، قال وعبد الوهاب ينظر يمينا وشمالا او قلبا فاذا
 شجاعة أفلح
 صرف نظره ذات اليمين راي فارسا فيقول من الفارس هذا
 قد أجفل (١٥١) الناس ؟ فيقال له ابنك افلح ، قال واذا صرف
 بصره ذات اليسار رأى مثل ذلك فيقول من الفارس ؟
 فيقال له ابنك افلح ، قالوا واذا صرف بصره في القلب رأى
 مثل ذلك فيقول من الفارس ؟ فيقال له ابنك أفلح ، قال
 لقد استحق افلح الامامة . فكان اول يوم عقدت له
 الامامة . قال فلم يزل الناس يقتتلون لا يولي بعضهم لبعض
 الدبر الى ان سال الوادي ذلك اليوم دما فيما قيل .

فلما رأى عبد الوهاب الفريقين ، كان ينادي بأعلى
 صوته يا دينار رم الخطام وتقدم قدما ، فكلما تقدم دينار
 قدما فزع النفوسي زميل عبد الوهاب ، فخف جانبه من

(١٤٩) نهر اسلان ربما هو النهر الذي يذكره البكري في شرق مدينة اسلان التي تبعد عن
 تاهرت غربا بأربع مراحل . أنظر المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب . ص ٩٠، ٨٩، ٧٩ .
 (١٥٠) في الأصل رويدا مررد وهو تحريف ظاهر
 (١٥١) وردت في الأصل ... جفل ...

[illegible][illegible]

ولاية أفلح بن عبد الوهاب⁽⁵⁵⁾

بمحم الهوارى
وتولى القضاء
وعدله فيه

(55) أفلح بن عبد الوهاب (258-208 هـ) ثالث الأئمة النسطورية . أنظر ترجمته في المصادر الإياضية أبو زكرياء : سير ، ص 85 وما بعدها ، الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 72 وما بعدها الشماخي : سير ، ص 192 وما بعدها .

امامكم فاعلموه بما اعلمتم به وشاوروه في أموركم ، فقالوا قد فعلنا فقال على بركة الله ، فأنزلوه في الدار المعروفة بدار القضاء فاشترؤا له خادما صفراء⁽⁵⁶⁾ واجروا عليه من بيت المال قوته وسار فيهم السيرة التي املوها منه ورجوها عنده⁽⁵⁷⁾ . فبينما هو على ذلك من امره ، اذا تنازع ابو العباس أخو أفلح المشير له والمرغب فيه وصهر الامام أفلح في أرض ، فارتفعوا⁽⁵⁸⁾ الى أفلح أبو العباس أخوه والآخر صهره فقال لهما أفلح كلاكما يعز علي ولكن ارتفعوا الى محكم ، وكان ابو العباس يحب ذلك لتقدمه للحكم وايثاره اياه وكان الآخر يكره ذلك ويحب ان لو كان أمرهما عند أفلح ، فاغتم ابو العباس كلام أفلح وبادر الى بغلة له شهباء هملاجة⁽⁵⁹⁾ فركبها وكان صاحبه على رمكة⁽⁶⁰⁾ بطيئة المشي فأتى أبو العباس محكما فوجده خاليا في سقيفة داره ولم يَرَمَعْ ابي العباس احدا ، فأجلسه محكم الى جنبه واقبل عليه يتحدث ، وخصمه تخلف على دابته فبينما هما كذلك اذ لقبل خصمه حتى نزل على باب دار محكم فلما رأى ابو العباس

(56) لا ندري ما المقصود بالخادم الصفراء مع العلم أنها وردت في الأصل هكذا : خادماً صفراً ، ولعل المراد به الخادم الشديد السواد لأن العرب يستعملون الصفرة أيضا للسواد . أنظر ابن منظور : لسان ، ج 2 ، ص 448 .

(57) لا نجد ذكراً لهذه الرواية في المصادر الإباضية اللهم إلا ما ذكره الشماخي نقلاً عن ابن الصغير وهو شيء قليل جداً .

(58) وردت في الأصل « فارفعا » ولعلها تحريف .

(59) هملاجة : كلمة فارسية معربة وتعني حسن سير الدابة في سرعة وبخبرة ويقال دابة هملاج ، ابن منظور : لسان ، ج 3 ، ص 831 .

(60) رمكة : هي الأنثى من البراذين التي تتخذ للنسل . ابن منظور : لسان ، م 1 ،

وإن كان ليس احد منكم يحب ان يظلم ولا يظلم ولكن تحبون ان يخبرني فيكم الحقوق على وجهها بلا نقص لأغراضكم ولا امتهان لانفسكم قالوا فانا لا نرضى لقضائنا احدا غيره ، فقال الذي حدثني اخبرني ان أشد الناس بولاية محكم على أفلح أخوه أبو العباس ، فقال أفلح اما اذا أبيت غيره ، بعد نصيحتي فيكم ، فابعثوا رسلكم اليه على بركة الله ، فخرجت الرسل بكتاب من أفلح وكتاب من الشراة في داخل كل كتاب منهما بعد اثبات بسم الله العظيم ، « اما بعد فقد نزل بالمسلمين امر لا غنى بهم عن حضورك وهم منتظرون لقدومك ولا يسعك التخلف فيما بينك وبين الله عن الحقوق بهم والاجتماع معهم ليجتمع رأيك ورأيهم على ما فيه صلاح المسلمين » .. فلما ورد كتاب القوم على محكم ورسلمهم ، أتى الى دابة له وركبها وأخذ كساه وعصاه ثم توجه نحو القوم حتى أتى البلد وقصد المسجد الجامع ونزله ، فابتدر اليه اصحابه فاحاطوا به ، وقالوا ابن فلان ابن فلان القاضي توفي وقد اجمع رأي المسلمين ورأي الامام عليك ، واعلم انك مهما تخلفت عما دعوتك اليه كنت المسؤول عن كل دم يراق بغير حاله ، وكل فرج يوطأ بغير وجهه ، فاتق الله ولا تخالف الامام والمسلمين عما دعوك اليه ، فانك إن خالفنا أجبرناك وإن أطعنا شكرناك ، فقال لهم إن الحق مر ، أمر من شرب الدواء ولا يشرب الدواء الا كرها ، وانتم مرفهون ابناء نعم . وغيري أحب اليكم مني وقد نصحتكم فاقبلوا نصيحتي ، وذكروا كلاما يطول ثم قال فاذا ابيت الا هذا فارجعوا الى

أفلح قد عمر في إمارته ما لم يعمر أحد ممن كان قبله ، فأقام
خمس عاما أميرا حتى نشأ له البنون وبنو البنين وشمخ في
ملكه وابتنى القصور واتخذ بابا من حديد وبنى الجفان
واطعم فيها أيام الجفان⁽⁶³⁾ وقد تقدم ذكرها قبل هذا ،
وعمرت معه الدنيا وكثرت الاموال والمستغلات واثته الرفاق
والوفود من كل الامصار والافاق بأنواع التجارات ،
وتنافس الناس في البنيان حتى ابنتى الناس القصور والضياع
خارج المدينة واجروا الانهر⁽⁶⁴⁾ ، فأبنتى ابان وحمويه
القصرين المعروفين لهما باملاق ، وابتنى عبد الواحد قصره
الذي يعرف به اليوم وغيره ، مما يطول ذكره ، ولقد حدثني
بعض من اثق به ان ابان وحمويه خرجا يوما الى قصورها
متنزهين ومعهما جماعة اخوانها ، فذكر بعضهم انه قال فلما
اشرفنا على القصرين سبق بنا بعض عبيدهما فاعلموا سكان
القصرين بقدمهما قال فتشوف من كان بالقصرين اليها
فوالله ما رأيت شرافة من القصرين الا عليها ثوب أحمر
وأصفر على الجدار كالبدور ، وانتشرت القبائل وعمرت العمار

(63) نرى في كتاب « أيام الجفان » مع أن لا نستبعد كلمة أيام الجفان لأن الجفان في لغات
يكون التعبير عنه بسنين الجفان وليس الأيام ، كما أن قول ابن الصغير « بني الجفان » بدل صنع
الجفان يعبر عن نظام للإطعام في أيام معلومات والدليل على ذلك قوله (ابن الصغير) « وقد تقدم
ذكرها قبل هذا » أي تقدم ذكر أيام الجفان ، هذا مع العلم أنه لم يتقدم أي ذكر لأيام الجفان أو
الجفان وربما توهم ابن الصغير واعتقد أنه قد ذكرها ، وبذلك فقدنا معلومات مفيدة عن أيام
الجفان . والجدير بالذكر أن ابن الصغير أشار إشارة عابرة إلى « أوان الطعام » لما تكلم عن جبة
الضرائب وعمال الزكاة الذين يخرجون في أوان الطعام . إرجع إلى صفحة 35 .

(64) سبق أن ذكرنا أن كلمة أنهر خطأ والصحيح أن يقال أنهار ونهر ونهر . ابن منظور :

خصمه قد نزل نادى باسم جارية محكم فاستقاهها ماء ليرى
خصمه دلالة على القاضي ليودعه بذلك ، فلما صار القدرح
الى الجارية قال الخصم في نفسه الى من احاكم ؟ خصمي
جالس الى جنب القاضي ويستسقي الماء من داره وانا ملقى
على باب الدار لا يلتفت الي ولا ينظر نحوي ، قال ثم
خانت منه التفاتة فاذا بالرجل جالس ، فقال ما بالك يا
هذا وما قصدك ؟ فقال له جئت خصما لابي العباس فوجدته
جالسا الى جانبك فجلست موضعي هذا ، قال فغضب محكم
على ابي العباس فقال يا ابا العباس تأتي مع خصمك فتجلس
الى جنبي دونه وتستسقي الماء من داري على يد جاريتي ، يا
غلام خذ بيد ابي العباس واقعه مقعد خصمه ولا يبرح ،
وخذ بيد خصمه واقعه الي ، ومر الجارية فلتسقه ماء ،
ففعل الغلام ما أمره به ، فخرج ابي العباس مغضيا حتى
دخل على اخيه أفلح فلما رآه ، قال له مالك وما عراك ؟
قال نزل بي من هذا الهواري الشرس⁽⁶¹⁾ الجاني ما لم ينزل
بأحد ، فقال وما ذلك ؟ فدل عليه القصة من أولها الى
آخرها ، فلما فرغ من كلامه ، قال له يا ابا العباس قد
كنت اعلمتك بهذا من قبل ، والصواب ما فعل والحق اولي
ان يؤثر ، ولو فعل غير هذا لكان مدهانا ، فاتصل ذلك

من كلامه بوجوه الاباضية فأعجبهم وسروا به⁽⁶²⁾ ، وكان - عدل أفلح
وازدهاز دولته

(61) وردت في الأصل هكذا « الشر الجاني » وهي تحريف .

(62) وردت في الأصل هكذا « وأسروا به » وهي خطأ ظاهر . كذلك لا نجد مثل هذه القصة

في المصادر الإباضية ومن هنا قيمة كتاب ابن الصغير .

فتزِيل ملكه ، فلما رأى ذلك أرش⁽⁶⁹⁾ ما بين كل قبيلة ومجاورها فارش بين لواتة وزناتة وما بين لواتة ومطماطة وما بين الجند والعجم حتى تنافرت النفوس ووقعت الحروب ، وصارت كل قبيلة ملاطفة لأفلح خوفا من ان يعين صاحبها عليها . فيما قالوا ، والله اعلم فيمن رأى ذلك⁽⁷⁰⁾ . استلقى على ظهره منا ومد يديه ورجليه مطمئنا ، وعلم انه قد كفى امرهم وبقيت تلك الضغائن في الصدور الى ان اخترمته المنية⁽⁷¹⁾ ، وكان ابنه ابو اليقظان حسن الحال عند الجميع منسوبا الى الورع فسأل اباه ورغب اليه في ان يأذن له في الحج فيخرج مع قافلة الناس حتى ورد مكة ، فلما طاف وسعى كشفته رسل بني العباس ، اذ قدموا معه من عندهم وقيل لهم ان ابن مقدم الشراة قد قدم من المغرب من عند ابيه يرتاد البلاد ويرسل رسله في كل الافاق الى من كان على رأيهم ومذهبهم ليأخذوا الى انفسهم

سفر أبي
اليقظان الى
المشرق وحبسه
وما كان من
أمره هناك

وكثر الاموال بايديهم ، وكانت العجم قد ابنتت القصور ونفوسة قد ابنتت العدو والجند القادمون من افريقية قد بنت المدينة العامرة اليوم ، وأمنت الساحات وكثرت الاموال حتى اطغت⁽⁶⁵⁾ اهل الحواجر⁽⁶⁶⁾ والبوادي ، لقد حدثني غير واحد انه كان للعجم مقدم يقال له ابن وردة قد ابنتى سوقا يعرف به فكان صاحب شرطة افلح اذا تخلل بالمدينة لافتقادها لم يحسر⁽⁶⁷⁾ ان يدخل سوق ابن وردة ولا يتخلله هيبة ، قال وكان الرجل من وجوه العجم الذين بقيت اليوم بقية تسمى من مجانة⁽⁶⁸⁾ وكانت نفوسة تلى عقد تقديم القضاة وبيوت الاموال وانكار المنكر في الاسواق والاحتساب على الفساق ، وكانت الاجناد بطانة السلطان واولاده وحشمه ، وكان لأفلح اولاد قد بلغوا من السن والتجارب والممارسة ما يستحق به كل واحد منهم الامامة ، الا ان الناس يترشحون من جمعهم الا اثنين احدهما يكنى بابي بكر والآخر يكنى بابي اليقظان ، وبهاتين من الكثير يعرفان . وكانت القبائل المنتشرة حول مدينة تاهرت لما اكتسبت الاموال واتخذت العبيد والخيول قد نالها من الكبر ما نال اهل المدينة حتى خاف افلح ان تجتمع الايدي عليه

(69) أرش حمل بعضهم على بعض في حرش .

(70) يشير من ابن الصغير إلى أمر خطير وهو اتهام الإمام أفلح بسياسة فرق تسد ، وواضح من كلماته الأخيرة أنه يستبعد مثل هذه السياسة عن الإمام أفلح ولا يريد أن يتحمل المسؤولية لذلك يقول « ... فيما قالوا ، والله أعلم فيمن رأى ذلك » وانظر وداد القاضي : ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية ، مجلة الأصالة ، عدد 45 ، ص 44 .

(71) سبق وأن ذكر ابن الصغير في صفحة 53 أن الإمام أفلح شمع في ملكه خمسين عاما وبالتالي تكون وفاته سنة 258 هـ أي بعد 50 سنة من وفاة أبيه عبد الوهاب أما أبو زكرياء والوسياتي وغيرهما فيذكران أن إمارة أفلح كانت ستين سنة في حين أن الدرجيني يجعلها تسعة واربعين سنة . أنظر : أبو زكرياء : سير ، ص 96 ، الوسياتي : مخطوط ، ورقة 39 ، الدرجيني : طبقات ، ج 2 ، ص 320 أما في الجزء الأول من نفس كتاب الدرجيني فيكرر ما قاله قبله كل من أبي زكرياء والوسياتي أنظر صفحة 83 من طبقات الدرجيني . وأنظر رأيا آخر : جودت عبد الكريم : العلاقات الخارجية ، ص 66 .

(65) وردت في الأصل « أطفت » وهي تصحيف .

(66) أهل الحواجر ربما هم أهل الحجر وهم سكان البادية في مواضع الأحجار والرمال كما يقول ابن منظور في لسان العرب ، م 1 ، ص 571 أو لعلها أهل الحواضر .

(67) وردت في الأصل « لم يحسر » وهي لا تنجم مع سياق الكلام .

(68) مجانة : لم نفهم وضعها في سياق الجملة لأنها مرتبكة ولعل المقصود بها مدينة مجانة في المغرب الأدنى أنظر البكري : المغرب ، ص 145 ، 63 ، الخصى ياقوت : معجم البلدان ج 5 ، ص 56 .

حولنا ، واذا بالخليفة قد قتل ، وقدم صاحبي الذي في الحبس معي مكانه ، قال فما شعرنا ان دخلت له الصقالبة (77) والاجناد علينا فاخطف من بين أيدينا ، ولم يسم من حدثنا من كان الخليفة المقتول ولا من كان الخليفة القائم ، قال فلما استقل الملك بصاحبي وقعدت قواعده أمر بي فاخرجت وصيرني الى الوزير فأمره بحفظي وكرامتي والنظر في أمري الى ان اجتمع معه ، مبرورا مكرما ، قال فبينما انا ذات يوم عنده انصرف من قصر الخليفة فوقف في صحن داري على فرس وخرجت اليه ووقفت معه ، فبينما نحن كذلك اذ اقبل عشرة اناس فنزلوا عن دوابهم وبدروا نحوه يقبلون يده ورجله ، فقال لهم اتدرون في ماذا أرسلت فيه اليكم ؟ فقال له اصلح الله الوزير ليس لنا في ذلك علم ، فقال اذا كان الغداة فأحضروني عشرة آلاف فارس ، فقالوا نعم اصلح الله الوزير ، قال فعجبت من قوله ومن قولهم ، وقلت يهزؤ بهم أو يهزؤون به ، أو أراد ان يظهر لي شيئا اتحدث به في المغرب لا اصل له ، قال فنظر الي وإلى انكساري ، فشعري بي ، فقال لي مالك يا مغربي أراك تعاضمك ما سمعت ؟ فقلت اصلح الله الوزير كيف لا يتعاضمني ، والله اصلحك لو كان ما سألتهم دراهم في اكمامهم لما استطاعوا إحضارها اليك بالغداة ، وكيف عشرة آلاف

(77) الصقالبة ويقصد بهم الأتراك الذين كانوا في هذه الفترة قد سيطروا سيطرة تامة تقريبا على الخلفاء العباسيين يولون من يشاؤون ويعزلون أو يقتلون من يشاؤون ، أنظر فاروق عمر فوزي : الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ، ط 2 ، بيروت 1979 .

الى ان يأتيه والده من المغرب ، فحمل ابو اليقظان من مكة وحمل معه رجل من نفوسه كان يخدم له حتى ورد بها مدينة السلام ، والعامل اذ ذاك المتوكل (72) او غيره ممن كان في عصره ، فأمر بحبسه . قال الذي حدثني ، عن ابي اليقظان انه قال وافق خبسي حبس أخ الخليفة (73) ، كان قد نقم عليه ما نقم (74) قال فأمر بنا جميعا فحبسنا في موضع واحد ، قال وكان يجري علي في كل يوم مائة وعشرين درهما كما يجري على أخيه ، قال فما زالت جارية علي الى ان خرجت ، قال فلما خرجت واذن لي بالانصراف ، قيل لي أنظر الى من توصي بجرايتك (75) يقبضها لئلا يذهب رسمك من عندنا ويعفو ذكرك من دفاترنا ، قال وكان السبب الذي اذن الله بإطلاقي ان أخ الخليفة كان مؤالفا لي في الحبس ، شديد المحبة لي ، فلا يأكل طعاما ولا يشرب شرابا الا احضرتني ، قال وكنت له كذلك ، قال فبينما نحن كذلك (76) وعلى ذلك اذ سمعنا الدنيا قد انقلبت وحركت

(72) المتوكل هو الخليفة العباسي العاشر تولى الخلافة بعد أخيه الواثق سنة 232 هـ وقتل سنة 247 هـ من قبل الجنود الأتراك . أنظر السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص 373 . فاروق عمر فوزي : العباسيون الأوائل ، ج 3 ، ص 51 وما بعدها . ويستبعد أن يكون المتوكل هو الخليفة العامل اذ ذاك لأن المصادر تذكر أن المتوكل هو الذي سجن في عهد أخيه الواثق .
(73) ربما يكون قد سجن مع الخليفة المتوكل الذي كان قد حبس في عهد أخيه الواثق (227 هـ - 232 هـ) أو سجن مع الخليفة المعتمد (256 هـ - 279 هـ) في عهد الخليفة المهدي (255-256 هـ) ابن عم المعتمد . أنظر السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص 392 . الطبري : تاريخ ، ج 9 ، ص 155 . ابن الأثير : الكامل ، ج 5 ، ص 278 .

(74) وردت في الأصل هكذا « فانقم » والصواب ما صححناه .

(75) جارية : وهي الجارية من الوظائف . والمقصود بها هنا الدراهم التي كان قد أجراها عليه الخلفاء العباسيون .

(76) وردت في الأصل هكذا « وعلم ذلك » وهو تحريف واضح .

وكننت اقبلت على النفوسي المرفوع معى وقلت له اقم لقبض كل يوم مائة وعشرين درهما فذلك خير لك من المغرب ، فأبى ، فقلت له فاذا ابيت فالى من ترى ان نصرف فقال الى فلان بن فلان الخياط فانى كنت اجلس عنده واستريح فيه واشاوره على أمرك ، فلما ذكرت اسم الخياط للخليفة قال لي بم استحق ذلك منك ؟ قال ، فأعلمته بما قال النفوسي ، قال فأمر به فأجريت عليه ، قال ، وكان النفوسي بعد ذلك بتاهرت اذا كربه امر او نزل به ضيق ، يقول لأبى اليقظان لم اقبل منك ، ولو قبلت لكان العشرون والمائة درهم أعود علي مما أنا فيه ، قال ثم امر الخليفة الوزير بالنظر في أمري وأمر جهازي ، وأمر لي برداق⁽⁷⁸⁾ ف ضرب لي ، ثم أمر لي بنفقة وكسوة ، وكتب لي كتباً الى عماله بالأمصار بالحفظ والرعاية والبر والإكرام ، فقممت حتى قضيت حوائجي ، ثم خرجت⁽⁷⁹⁾ . وأما أفلح بن عبد الوهاب لما فقد ولده أبا اليقظان وعلم انه رفع الى بغداد اشتد حزنه عليه وطال غمه به فلم يزل مهموما محزوناً الى ان وافته منيته وابنه محبوس ببغداد ، واجتمعت الإباضية فلم يصيبوا في أولاد أفلح اذ فقدوا أبا اليقظان ارجح عندهم من ولده أبي بكر .

(78) سرداق وفي مكان آخر يذكر سرداق والكلمة سرداق لا تذكرها المعاجم العربية . أما سرداق والجمع سرداقات فهو ما أحاط بالبناء . أنظر ابن منظور . لسان . م 2 . ص 130 .
(79) هذه الرواية اللطيفة عن سجن أبي اليقظان ببغداد وإكرام الخلفاء العباسيين له لا نجد لها في المصادر الإباضية إلا إشارة عابرة . وهي تؤكد حبس العباسيين لأبي اليقظان وإطلاق سراحه بعد أن أحسنوا إليه . أنظر أبو زكرياء : سير . ص 96 . الدرجيني : طبقات . ج 1 . ص 83 . وارجع إلى المقال الذي كتبه الأستاذ عبد الوهاب بن منصور : جريدة البصائر . عدد 179-178 وعنوانه : السفارات الملكية والعلائق بين المشرق والمغرب . الجزائر . 1371 هـ / 1952 . ص 6 .

فارس ! فقال لي يا مغربي ترى هؤلاء العشرة قلت نعم قال تحت كل واحد منهم عشرة ، كم هذا معك ؟ قلت مائة قال وتحت يد كل واحد من المائة عشرة كم هذا معك ؟ قلت ألف ، قال وتحت كل واحد من الألف عشرة كم هذا معك ؟ قلت عشرة آلاف ، قال فانما تخرج هذه العشرة فيدعو كل واحد منهم من تحت يده فيأمره باحضار عشرة ، ثم يخرج كل واحد منهم من المأمورين فيأمر من تحت يده فيجتمع ذلك كله في اقل من لحظة عين ، ولولا سحت هذه الارزاق يا مغربي واخذها لما صبينا هذه الاموال الا في الدجلة والفرات ، فأعجبني قوله ، وقلت يمكن ما قال ، فبينما أنا كذلك عنده اذ امره الخليفة باحضاري ، قال فلما مثلت بين يديه ، أمرني بالجلوس فجلست ، قال ، فذكر ما كنا عليه بما يرى مني اجتهدا في صلاة وغيرها ، فقال لي إني أحب ان أولئك من المشرق أي بلد اردتها ، فقلت الخيار لي في المشرق دون المغرب أو في المشرق والمغرب ؟ فقال لي ، الخيار إليك في المشرق والمغرب إلا أنى اوثر لك المشرق لكثرة خيره ، وأرغب لك عن المغرب لكثرة شره ، فقلت له قد رددت الخيار إلي واذا رددت الخيار إلي فانما اختار ما شئت ، قال ذلك إليك ، فقلت اجمع بيني وبين عيني والدي ، فقال ما تريد بالمغرب من خير ولكن اذا أردت ذلك فالامر إليك ، ثم عطف علي فقال لي جرايتك في الحبس انظر الى من توصي بها لكلا يعفو اسمك من عندنا ، فقلت الى فلان بن فلان الخياط ، رجل بقرب الحبس . قال

ولاية ابي بكر بن افلح (80) ومقتل ابن عرفة (81)

اخبرني جماعة من الاباضية وغيرهم عن ولاية ابي بكر ومقتل ابن عرفة وقدم ابي اليقظان من العراق ، قالوا : فلما مات افلح بن عبد الوهاب قدّم الناس ابا بكر ابنه ، واخبرني غير واحد من الاباضية ، قال ، كان عبد العزيز بن الاوز⁽⁸²⁾ ينادي بأعلى صوته « الله سائلكم معاشر نفوسة اذا مات واحد جعلتم مكانه آخر ولم تجعلوا الامر للمسلمين وتردوه اليهم فيختارون من هو اتقى وارضى » ، فلا يلتفتون الى كلامه ولا يشتغلون بمقالته . فلما ولي ابو بكر لم تكن فيه من الشدة في دينه ما كان فيمن كان قبله من آبائه . ولكن كان سمحا جوادا لين العريكة يسامح اهل

(80) أبو بكر بن أفلح (258-261 هـ) رابع الأئمة الرستميّين أهلته المصادر الإباضية وتوقفت عن ذكر إمامته ، والسبب في ذلك فتنة ابن عرفة التي سوف يذكرها ابن الصغير متصلة ، ولقد قيل إن الإمام أبا بكر هو الذي قتل ابن عرفة كما قيل بأنه لم يكن حازماً وليس فيه من الشدة في دينه ما كان فيمن كان قبله . ولقد ترك الشماخي بياضاً في كتابه لما وصل إلى عهد أبي بكر . أنظر السير ، ص 220 . جودت عبد الكريم : العلاقات ، ص 66 .

(81) ابن عرفة محمد بن المقدمين في بلاط الرستميّين في عهد الإمامين أفلح وأبي بكر . صهر إلى الإمام أبي بكر وصهره الإمام ، لذلك بلغ من النفوذ مبلغاً عظيماً في عهده .

(82) عبد العزيز بن الأوز من علماء الإباضية الذين هم فقهاء بارعون ورحلة نحو المشرق ، ويبدو أنه صريح لا يعرف المجاملة ، وسوف يذكره ابن الصغير مرة ثانية ويروي عنه قصة تدل على قوة ملاحظته . ويبدو أن سفاهة لسانه وخفة عقله ، كما يصفه بذلك ابن الصغير ، هما السبب في إعراض الإباضية عنه وإهمال ذكره في طبقات وسير علمائهم .

طوائف ساني بكر ، الا ان الكلمة مجتمعة والدعوة واحدة
والناس مقيون على احوالهم ، الا ان الضغائن بين القبائل
واهل الحواضر في الصدور على ما كانت في ايام ابيه ، وبين
القبائل حروب تهيج ثم تسكن ، والبلد زائدة في العمارة ، الا
ان هوارة قد جنبت ورجعت الى مواضعها من الوادي ، الا
انه قد وقع بينها ما وقع بين الناس من العداوة حتى تميزت
ولما ينت وصارت بنو اوس مع من ولاهم ، وتزهقت مع
رؤسائهم . فكان الناس على امامهم عليه الى ان قدم أبو
اليهم فلان من العراق فوجد اخاه ابا بكر اميراً والعجم على
الهم والنفوسة على مراتبهم وسائر الناس على ما هم عليه ،
فلم يغير شيئاً ولم ينكره ولا ادعى اماره ولا نازع فيها
الامر ، بل يظهر القيام له والخسرة بين يديه ، وكان ابو
بكر يحب اللذات ويميل الى الشهوات فصرف النظر في
المدينة واحوازها الى اخيه أبي اليقظان مع ما اظهر له من
الكفاية مع أدب المشرق والأخذ بالحزم فيما رآه من ولاية بني
العباس وسيرهم ، وكان ابو اليقظان يركب الى أعلى مسجد
في المدينة فيجالس فيه ، فمن تكلم اليه من الناس بين العمال
والتضاد وصحبات الشرطة نظر في ذلك نظراً شافياً واجرى
الحق على من رضي وسخط عظم قدره او صغر ، ولم تأخذه
في شيء لونه لأم ، فعمد له الشراة ذلك وشهد له أخوه

عودة أبي
اليقظان من
المشرق وسيرته
وغدله

(87) الشراة وهم علماء الإباضية الذين يقومون برقابة سير أحوال الإمام والإمامة بصفة
عامة ، ويتدخلون لإحقاق الحق وإثبات العدل كلما اقتضت الضرورة ذلك ، وهو نظام خاص
بالدولة الرستمية ، والكلمة مقتبسة من قوله تعالى : « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة
الله » سورة البقرة آية 207 وأنظر آية أخرى في سورة التوبة آية رقم 111 . والجدير بالذكر أن

المرويات ويشسايهم على رؤسائهم ويحب الآداب والاشعار
واحبار الماضين (83) . وكان بالبلد رجل يعرف بمحمد بن
عرفة وكان وسياً جميلاً جواداً سمحاً ، وكان قد وفد على
ملك السودان (84) بهدية من قبل افلح بن عبد الوهاب
فعجب ملك السودان ما رآه من هيئته وجماله وفروسيته اذا
ركب الخيل فبرز يديه وقال له كلمة بالسودانية ليست تعبر
بالعربية لأن لا يخرج للامساك انما هو فيما بين القاف
والكاف والجيم (85) الا ان معناها « أنت حسن الوجه حسن
الهيئة والافعال » ، وكان لابن عرفة هذا ، أخت او بنت
اجمل منه فخطب اليه ابو بكر بن افلح ودخل بها ، قالوا
وكان محمد بن عرفة هذا قد تزوج بأخت ابي بكر ، قالوا
فكانت الامارة بالاسم لابي بكر وبالحقيقة لمحمد بن عرفة ،
وكان محمد بن عرفة اذا ركب من داره يريد ابا بكر مشى
بين يديه ومن خلفه ومن يمينه ومن يساره أمم من الأمم ،
وشرفت (86) بذلك الرستمية وغارت به وشرق بذلك كل من

(83) لاحظ جيداً هذه الصفات التي يتعلنى بها أبو بكر ، لتقارنها فيما بعد بغير أحداث
قصة ابن عرفة .

(84) لا نعرف بالتدقيق الملكة السودانية التي كانت تربطها بالدولة الرستمية علاقات
تجارية متواصلة ، إلا أن المؤرخين يذكرون في القرن الثاني والثالث الهجريين عدة ممالك في
السودان الغربي والأوسط وأهمها جميعاً مملكة غانة ومملكة كوكو . أنظر المسعودي : مروج الذهب ،
ج 2 ، ص 223 ، 222 ، البغدادي : تاريخ اليعقوبي ، ج 1 ، ص 193 ، 194 . بحار ابراهيم : البيروني
الرستمية ، ص 223 ، 219 .

(85) لماذا اهتم ابن الصغير بمخرج هذه الكلمة السودانية التي ليست تعبر بالعربية . فبهل
يفهم من هنا ان ابن الصغير يعلم اللغة السودانية أو أن هذه متداولة في تيهرت على الأقرب بين
العبيد وملوكيهم من الأغنياء والتجار مع السودان . أنظر بحار ابراهيم : الدولة الرستمية ،
ص 243 هامش 5 .

(86) شرق : الشجا والنقصة ، ابن منظور : لسان ، م 2 ، ص 305 .

محمد بن عرفة
ومما كان من
أمره

فعله . فاذا كان آخر النهار اتي باب اخيه ابي بكر فان
 وجده جالسا دخل عليه واعلمه بما حدث في يومه من خير
 وحكم . وان لقيه مشتغلا قال لمن علم انه يصل الى حرمة
 اقرأ على الامير السلام وقل له أصبحت مدينتك اليوم هادئة

وامست هادئة ، واذا كان في الليل ركب وطاف في المدينة
 حتى اقصاها ويحكم في الامر الضروري ويأمرهم اذا حدث
 حادث ان يوافوا داره فاذا حكم جميع ذلك انصرف الى داره

فاذا كان بالغداة غدا الى باب أخيه فان وجده جالسا اعلمه
 بما كان في المدينة من حدث ان كان حدث أو هدوء ان كان
 هدوء ، فلم يزل كذلك حتى جلب قلوب الناس
 واسترأت (88) اليه ومالت نحوه وفي كل ذلك محمد بن عرفة
 في دوي وصيت عال لا ينظر ابا اليقظان في حزبه ولا في
 طائفته ولا في الناحية التي هو بها ولا ينظر بهيبة له او
 إجلال او حذر منه ، وكان محمد بن عرفة اذا اتي باب ابي
 بكر لم يحجب (89) كان ابو بكر في مجلسه او في حرمة ،
 وكان ابو اليقظان وجميع اخوان ابي بكر واعمامه لا يدخلون
 على ابي بكر الا بالاستئذان اذا كان في مجلسه والا
 انصرفوا (90) ، وكان محمد بن عرفة على غير ذلك وكانوا لا

من بين الأنواع الأربعة للإمامة عند الإباضية إمامة الشراء، أنظر ابن جميع : مقدمة التوحيد ،
 ص 69 وما بعدها ، عوض خليفات : النظم ، ص 112-113 ، بحاز ابراهيم : الدولة الرسمية ،
 ص 79-80 .
 (88) هكذا وردت في الأصل ولعل الصواب « واشترأت » .
 (89) وردت في الأصل « يحجب » والصواب ما أثبتناه في المتن .
 (90) في الحقيقة لا غرابة في هذا ، فإبني عرفة إذا كان يدخل على أبي بكر في مجلسه أو في
 حرمة دون أن يحجب فلأنه أخ زوجة الإمام أبي بكر وبالتالي فهي من ذوات محارمه ، أما إذا كان

فعله . فاذا كان آخر النهار اتي باب اخيه ابي بكر فان
 وجده جالسا دخل عليه واعلمه بما حدث في يومه من خير
 وحكم . وان لقيه مشتغلا قال لمن علم انه يصل الى حرمة
 اقرأ على الامير السلام وقل له أصبحت مدينتك اليوم هادئة

وامست هادئة ، واذا كان في الليل ركب وطاف في المدينة
 حتى اقصاها ويحكم في الامر الضروري ويأمرهم اذا حدث
 حادث ان يوافوا داره فاذا حكم جميع ذلك انصرف الى داره

أقبلت قد انصرفت ، وبقي بابها خاليا ، فتحقق عنده
 ما قال القائل ، ثم ارسل الى من ذكر له من امر محمد بن
 عرفة ما ذكره ، فقال له قد رأيت ما وصفت فما الرأي ؟
 قال ان هممت به وأظهرت ذلك امتنع منك وغلب عليك
 الله ، عليك ملكك لأن مطيعته أكثر من مطيعتك ،
 اللطف في أمره ، قال وكيف اللطف في أمره ذلك ؟
 وجه اللطف في ذلك ان تخرج كما تخرج ابدا متنزها معه
 مع غيره وتظهر له انك تريد الخلوة معه والراحة ، وتأمره
 ان لا يحضر معه احدا من عبيده ولا من خشمه وتفعل أنت
 ذلك الا عبدا من عبيدك ممن تثق اليه في دينك
 وديارك ويكون مع ذلك كافيا متحملا لما حملته ، فاذا
 تمت ذلك ووعدته على الخروج قد علمته ان خروجكما
 الليل وانصرافكما فيه لئلا تخلط بكم العوام ، فاذا اتيت
 منزلك فأقم فيه نهارك كما تقيم ، فاذا غابت الشمس وقمتا
 صلاة المغرب أمرت غلامك فيه بما تريد ، فقال له ابو بكر
 كنتم علي هذا ولا تظهره ودعني أدبر أمري وأتأمل في رأي
 هل تطوع نفسي بذلك أم لا ، فاني لا أحسب نفسي تطوع
 في ذلك ولا سيما اخته تحتي واختي تحته ، (حتى أنا شككت
 في البنت او الاخت) (92) ومتى ما فعلت ذلك تنقصت حالي
 كنت كقاطع كف بكف لما خرني (93) . فقال له الامر اليك

(92) هذه الجملة اعتراضية يخبر فيها ابن الصغير عدم يقينه من أن ابن عرفة تزوج أخت أبي
 بكر أو بنته . كما احتار هل تزوج أبو بكر بنت ابن عرفة أم أخته .
 (93) لعل النصواب « لما ضربني » بدلا من خرني .

وانما علينا النصيحة ، وقد علم ابو بكر بعد فوات الامر أن
 الحسد والبغى أدام الى ما أدام لا النصيحة ، ثم لم يغالب
 نفسه وهي تغالبه حتى عزم على غدره ومحمد بن عرفة في
 ذلك كله اسلم الناس صدرا واكبرهم له حبا ، فأرسل له كما
 يرسل قبل ذلك وقال له قد اردت الخروج بالغداة الى
 جنان الامير واردت الخلوة فيه والقيام به الى آخر النهار مع
 اصراف الحشم عني والعبيد واحب ان تسأني بالغلس مفردا
 فنصطحب جميعا ، فقال ذلك الى الامير ، فلما كان قبيل
 الصبح ركب محمد بن عرفة من غير أن يعلم أحدا من
 حاشيته وعبيده حتى أتى بابها وعلم ابو بكر بمجيئه وخرج
 وقد عهد الى غلامه في الليل ما عهد وأمره بما أمر فسارا
 جميعا حتى اتيا موضع متنزهها وهو موضع يعرف بجنان
 الامير فأقاما يومها ذلك ، فلما كان وقت العشاء وسقطت
 الشمس قال له تعال نصلي المغرب فننصرف ؟ فأسبغ كل
 واحد منهما وضوءه واستقبل القبلة فلما أحرم محمد بن عرفة
 أشار ابو بكر الى غلامه أن امض الى ما أمرتك فضره
 بحربة كانت بيده بين كتفيه فخر ساقط ميتا ، فلما علم ذلك
 أبو بكر قال لغلامه زملة بشيابه واحمله على فرسه ، ففعل
 الغلام ما أمر به وركب أبو بكر فرسه ومشى بين يدي
 الغلام والغلام خلفه حتى أتى جبلا قد تقسم نصفين له هواء
 عظيم يعرف ذلك الموضع بالشفة الحمراء ، فقال له ألقه في
 المهواة فألقاه فيها وأمره أن يغيب فرسه ولا يظهره ،

وانصرفا حتى دخلا المدينة⁽⁹⁴⁾ . وأبطأ محمد بن عرفة عن زوجته وأهله وداره فبعثوا رسولا يتجسس لهم الأخبار ويتعرف ان كان وصل ابو بكر الى داره ام لا ، فرجع الرسول فأخبرهم بوصول أبي بكر إلى داره ، ولم يصب لمحمد ابن عرفة خبرا ولا أثرا ، واتصل الخبر بجيرانه وإخوانه وأهل بطانته فباتوا متوحشين خائفين وجلين ، فلما طلع الفجر وارتفع النهار ولم يصيبوا له خبرا ولا أثرا خرج الناس مقتفين أثره ومفتقدين خبره حتى أتوا الموضع الذي كان فيه مصرعه فما أصابوا⁽⁹⁵⁾ إلا دما قد بات الموضع فعلم أن الرجل أصيب ، فلم يزالوا يتبعون أثر الدم حتى وقفوا على أثر المهواة فأمروا بحبال فأوثقوا بها فربطوا بها من أدلوهم حتى نزلوا الموضع وأصابوا الرجل على حاله بشيابه فربطوه بتلك الأحبال ورفعوه إلى أعلى الموضع . ثم طلع القوم فأتوا النهر الذي قتلوه به وبعثوا إلى داره وأتوا منها بفرس له وكسوة طاهرة وسيفه ففعلوه في النهر ونظفوه وطيبوه ثم كسوه ثيابه وقلدوه سيفه وحملوه على فرسه وجعلوا خلفه رجلا يحبه ، حتى أتوا به مدينة تاهرت فابتدر إليه العامة والخاصة والنساء والصبيان ولحق الناس من الجزع ما لم

(94) إن أبا بكر بن أفلح بالصفات التي سبق وأن ذكرها ابن الصغير نفسه . بعيد من أن ينتد مؤامرة خطيرة وخسيسة كهذه . لذلك فإن الراجح عندنا هو أن أبا بكر متهم بهذا القتل الذي نفذه غيره وحاول به أن يضرب وحدة الرستيين والإباضية ، ولقد حصل له ما أراد . وفي رأينا أن المناقشة والتحليل الذي قام به الشيخ علي يحيى معمر لهذه الحادثة والمؤامرة والتهمة والنتائج التي انتهت إليها منطقية معقولة . أنظر علي يحيى معمر : الإباضية بالجزائر ج 4 ، ص 45 وما بعدها . بحاز إبراهيم : الدولة الرستمية ، ص 131 وما بعدها .

(95) وردت في الأصل « فأصابوا إلا دما » .

يلحقهم في قتل قبله ، وقام مناد ينادي بين يديه إلا إن^{فتنة محمود بن الوليد} القتل المظلوم يأمركم بطلب ثأره ودمه ، فعجل الناس بجهازه ودفنه ثم جلسوا حلقا حلقا يذكرون أمرهم ، إلى أن بعث رجل يعرف بمحمود بن الوليد رجالا من خاصته يتعرفون أحوال الناس وما لهم عليه فرجعت رسله إليه فقالت قد حمى الوطيس وإننا ينتظرون محركا ، فصعد إلى أعلى موضع بالمدينة يعرف بالكنيسة ف ضرب الطبل فبادر الناس إليه وأمرهم باخذ السلاح والزحف إلى أبي بكر وقربه⁽⁹⁶⁾ ، واتصل ذلك بابي بكر فابتدر إليه خاصته من السحيين⁽⁹⁷⁾ والرستيين وغيرهم ، وزحف الناس من أعلى المدينة من ناحية المشرق ، وزحف قرب أبي بكر وشيعته وخاصته من المغرب ، ولبس كل واحد من الفريقين الدروع والبيض والرايات حتى اجتمع الناس جملة الآسير بموضع بمسجد أبي⁽⁹⁸⁾ فلم تزل الأيدي تتطاير والرجل كذلك وألهامة تقلع وأمر على الفريقين الصبر ، فلما رأت العجم ما فتنة العجم وما

(96) قربه أي أقرباؤه فإن الصغير يريد هنا قرب النسب لأقرب المكان على أكبر تقدير .

(97) وردت في الأصل « المسيحيين » وهو خطأ فادح ، والصحيح « السحيين » مثلما قال بذلك الباروني في أزهاره . وهؤلاء هم أتباع السمح بن أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري ، وهم من الإباضية الوهبية الذين قبلوا إمامة عبد الوهاب ورفضوا قفز خلف بن السمح بن أبي الخطاب إلى ولاية نفوسة دون إذن من الإمام بتيهت وهذا لما توفي عامل نفوسة من قبل الإمام عبد الوهاب السحج ، أي والد خلف . وحاول خلف الاستقلال بجبل نفوسة عن الإمامة الرستمية فمضى الذين أتبعوه بالخلفيين والذين رفضوا رأيه ولم يقفوا إلى جانبه بالسحيين . أنظر التفاصيل في : الباروني : الأزهار ، ج 2 ، ص 148 وما بعدها وصفحة 231 علما بأن الباروني اعتمد على مخطوط لكتاب ابن الصغير لديه . عوض خليفات : النظم ، ص 103 ، بحاز إبراهيم : الدولة الرستمية ، ص 126 وما بعدها ، و ص 135 .

(98) بياض في الأصل .

انجر على ذلك
من قتال
واضطراب

نزل بين الفريقين من السباب والقتل قالوا قد امكننا في
لعرب والجند ومواليهم وأتباعهم ما نريد ، فقوموا بنا مع
شتغالهم بأنفسهم حتى ثبت على طرف المدينة فنقتل
مقاتلتهم ونخرب ديارهم ونميل على سائرهم فنهلكهم فيصفو
بنا البلد والسلطان . وقد وقع بينهم وبين سلطان البلد من
الفتق ما لا يرتق أبداً له ⁽⁹⁹⁾ ، ففعلوا ذلك وكانت الناحية
التي هموا بها قد أخذت على أنفسها وخافت مما قدره العجم
عليها ، فلما وافاهم العجم من الناحية المعروفة بموقف
الدواب بدر إليهم القوم فكان بينهم وبينه قتال شديد
وأصحابهم مشتغلون بأنفسهم كذلك الى ان سقط رجل من
العجم فاحتزوا رأسه ، وسير به الى الفريقين وهما يقتتلان
فناداهم ويده الرأس : يا معشر الجند والعرب تقتلون انفسكم
العجم قد دخل عليكم ساحتكم يقتلون مقاتلكم ويستبيحون
عريمكم ، ثم ألقى الرأس فيما بينهم ، فلما نظروا الى الرأس ،
لقوا السلاح من أيديهم وتعانقوا وقاموا بأجمعهم نحو العجم
فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وقبضوا منهم نفرأ يسيراً ، واعتزل ابو
يقيظان الفريقين وصار الى وعدة ⁽¹⁰⁰⁾ نفوسة ، والجند
العرب ترى انها ليس لها غير ما ظهر وانه يعين عليها في
لباطن وبقي أبو بكر في داره لا يأمر ولا ينهى وقد تشاءم
ناس به ، وبقيت نفوسة معتزلة عن الفريقين واختلفت

(99) هذه كلمة زائدة .

(100) لعل الصواب عدوة بدل وعدة ، وقد ذكر ابن الصغير عدوة نفوسة قبل هذا الموضع
سوف يعيد ذلك في الصفحة التالية ، والعدوة المكان المتباعد ابن منظور : لسان ، م 2 ،

ص 714 .

الحرب بين العجم والعرب وكان قد قبض العرب مولى من
موالي الأغلب ⁽¹⁰¹⁾ يقال له خلف الخادم وكانت له أموال
عظيمة فأعان القوم بنفسه وماله ⁽¹⁰²⁾ ، ثم لم تزل الحرب قائمة
الى ذات يوم وقعت حربة في جوار درب النفوسيين وكانت
العرب والجند اذا غلبت على العجم أخرجتها من بعض
ديارها في حالها فقال لهم خلف الخادم : وما تصنعون
شيئاً ، اذا غلبتم على شيء من ديارهم فأضرموه نارا ، فلما
كان اليوم الثاني وقع الحرب فيه بجوار درب النفوسيين
وغلبت العرب والجند على ذلك الموضع وأزالت العجم
عنها ⁽¹⁰³⁾ واستولت على الدرب وكان أكثره للعجم وبعضه
لنفوسه وأضمرت الدرب نارا ، فغضبت نفوسة عند ذلك
وقالت وقفنا عند حربهم وأحرقوا ديارنا واستباحوا
حريمنا . فعند ذلك حميت نفوسة وصارت كلمتها وكلمة
العجم واحدة ، وجبذوا ⁽¹⁰⁴⁾ الى انفسهم ابا اليقظان فلما
اجتمع امر العجم ونفوسة والرسنية وأبي اليقظان وصار الأمر
اليه اشتد الحرب على العرب والجند وضيق عليهم العجم
ونفوسة وأبو اليقظان حتى ضموا الى اطراف مدينتهم

(101) أي الأغلبة حكام إفريقية أو الدولة الأغلبية ومؤسسها هو إبراهيم بن الأغلب الذي
استقل بولاية إفريقية (تونس حالياً تقريباً) عن الخلافة العباسية سنة 184 هـ / 800 م . وأقره
الخليفة هارون الرشيد على ذلك .

(102) ألا يمكن أن نفهم من هنا أن للأغلبة يدأ في هذه الفتنة التي عصفت بالدولة
الرسنية ؟

(103) الأصح « عنه » أي عن الموضع .

(104) جبد جبدأ في العربية مثل جذب جذبأ كلاهما صحيح ولهما نفس المعنى : إبن
منظور : لسان ، ج 1 ، ص 394 .

١٨ واستولوا على أكثرها ، ثم كانت بينهم وقائع كلها للعجم
 ونفوسة على العرب ، منها وقعة تعرف بقنطرة السدّيس
 ومنها وقعة تعرف بقنطرة سليس ، وفزع في هاتين
 الوقعتين وجوه العرب وصناديدهم ، ثم كانت وقعة تعرف
 بيوم الرد المعوج ، فيما ذكر ، ان نفوسة فروا بعضها على
 بعض وقال بعضهم كيف يجوز لنا الفرار من الزحف قالوا
 فما وجه الرأي قالوا الرأي ان نضم لرجل⁽¹⁰⁵⁾ بعضنا الى
 بعض بحال ونثبت للحرب فكلمنا دارت الى ناحية درنا
 معها بوجوهنا ولا نبرح من أمكنتنا حتى يقطع السيوف في
 هاملتنا فكان في ذلك اليوم قتال لم يتقدم قبله قتال مثله ،
 فكلمنا دارت الحرب على ذلك الرد دار اليها ودار معها حتى
 افترق القتال وهو على حاله ، ثم لم تزل الحرب قائمة وأمور
 العرب والجند تزيد وتقوى وأمور العجم ونفوسة تنقص
 وتضعف حتى أجلوهم⁽¹⁰⁶⁾ على الأمصار واضرموها بالنار ،
 وصار للعجم ونفوسة والرستيين موضع واحد في العدو
 المعروفة بعدوة نفوسة فبنوا حصنهم فيه وشيدوه ، وتبع من
 العرب والجند توابع من التجار منهم ابو محمد الصيرفي وابن
 الواسطي وغيرهما من وجوه التجار وهم ذوو أموال ، فقالوا
 للعرب والجند لو بنيت حصنا تأمنون فيه ليلكم وتحصنون
 فيه إن دهمكم شيء من عدوكم ، وهذه أموالنا في ايديكم ،
 فشرعوا في بناء الحصن ، ولم يكن بين حصنهم وحصن عدوهم

(105) هكذا وردت ، ولعل الصواب : « أرجل »

(106) الصواب أن يقال « عن الأمصار » .

الا قدر رمية رام بسهم ، إلا أن بينهما نهرا يعرف بيلنهر
 الصغير ، قالوا وربما كان البناءون يبنون والنبل تصيبهم
 فيحفلون لهم ستارة حتى استدار حصنهم وركبوا له أبوابه
 وعَلَّته أبرجته والحرب لا تفتر ليلا ولا نهارا ، وحيت فيما
 بينهم حمية الجاهلية وجرت بينهم الحرب سمعة ورياء .

أخبرني بعض المشائخ قال : صفت نفوسة والعجم ومن
 لف لفهم بين يدي حصنهم وعلى حصنهم ، فبرز رجل من
 العجم يقال له ابن وردة⁽¹⁰⁷⁾ ويده سيف ودرقة ، وكان كل
 من مر إلا وقتله ، فنادى هل من مبارز⁽¹⁰⁸⁾ ؟ فهابه
 الناس الى ان قال ، وان العجم والنفوسة والرستيين ، لما نزل
 بهم ما نزل تفرقوا في أقاصي البلاد ، فنزلت العجم بموضع
 يقال له تنابغيلت⁽¹⁰⁹⁾ وهي على مرحلتين من مدينة
 تاهرت ، وأما الرستية ومن لف لفها فلحقوا بابي اليقظان
 بالموضع الذي يقال له اسكدال⁽¹¹⁰⁾ وهو بقبلة تاهرت على
 مسيرة اليوم وازيد قليلا في مجتمع الاباضية ، وأما نفوسة
 فنزلت بقلعة مانعة يقال لها اليوم قلعة نفوسة . فنزل محمد
 بن مسالة⁽¹¹¹⁾ تاهرت ، وخرج أبو بكر مع من خرج لا

(107) سبق وأن ذكر ابن الصغير رجلا بهذا الاسم من العجم ، بل هو مقدم العجم ، فكان له
 يوق يعرف به لا يحصر صاحب شرطة أفلح على دخوله هيبة .

(108) وردت في الأصل : هل من بارز والصحيح : هل من مبارز ؟

(109) لا تذكر المصادر الجغرافية هذا الموضع الذي يبعد عن تاهرت بمرحلتين .

(110) إسكدال لا تذكر المصادر الجغرافية هذا الموضع الذي به مجتمع الإباضية .

(111) محمد بن مسالة من المنشقين عن الإمامة بتاهرت ، وقد ذكر ابن الصغير في الصفحات
 السابقة ، لما تطرق إلى الإفتراق الثاني في عهد عبد الوهاب ، وسبب الإنشقاق هو أن الإمام عبد
 الوهاب تزوج فتاة كان ابن مسالة قد خطبها من أهلها قبل الإمام ، فغضب ابن مسالة لذلك .

هياً ولا ميتاً ، فلم تنزل أمور الناس هادئة حتى وقع شيء ^{خروج أبي بكر} ^{وانتهزامه} بين هواره ولوارة وكانت لوارة إذ ذاك بالمدينة مع أهل المدينة فتسلطت عليها هواره بسلطانهم وأعانتها أهل المدينة ، فلما رأت لوارة ذلك ظننت عن المدينة وخلت عنها ونزلت بمحصنها المعروف بمحصن لوارة ، وأرسلت إلى أبي اليقظان فانزلته في جوار منها على مسيرة أميال بموضع يقال له ⁽¹¹²⁾ تسليونت ، ومن تسليونت مخرج عيون نهر مينة الجاري من قبلة تاهرت الذي نصبوا عليه أرحائهم ، وكان أبو اليقظان معه بعض الاموال التي قدم بها من بغداد ، والمدينة بها رجال هوامهم وقلوبهم عند أبي اليقظان ، فخرجت اليه فصارت الدعوة والإمامة كلها لأبي اليقظان ، واثته الإباضية من كل الاقطار وبقي بالمدينة أمم ممن لا يوالون أبا اليقظان ولا يرون رأيه ويوالون محمد بن مسالة على عيمات لا علم لنا بها ، فتجدت الحرب وعادت جذعة ⁽¹¹³⁾ ، وحمل أبو اليقظان الناس على الخيل ودعي له بالإمارة والامامة وألغي ذكر أبي بكر ومحمد بن مسالة ، وأبو اليقظان يغزو المدينة وتجرد إليه أهل المدينة فتكون وقائع وقتل له ثم ينصرف فلم تنزل حروب كذلك وعلى ذلك سبع

«وغضبت عشيرته فارتحل نحو المغرب حتى نزل بوادي هواره وبينه وبين تاهرت نحو من عشرة أميال أو أكثر . ولما كانت هذه الفتنة ، استغلها محمد بن مسالة فرجع إلى تاهرت ونزلها . وانظر كذلك اليعقوبي : البلدان ، ص 106 وما بعدها .
(112) هكذا وردت في الأصل ، ولكنها في نسخة الشيخ أبي اليقظان « تاملونت » ولا ندري معتمده . ولا تذكر المصادر الجغرافية هذا الموضع .
(113) وردت في الأصل جزعة بالزاي . واصلها جذعة ، يقال جذع أي قطع .

سنين حتى خلت وذهبت الاموال وعادت كما قال أمرؤ القيس ⁽¹¹⁴⁾ شمطاء ⁽¹¹⁵⁾ وان أبا اليقظان لما رأى من طول الحرب ما رأى كتب الى جبل نفوسة يستفزهم ... ⁽¹¹⁶⁾ .

... ⁽¹¹⁷⁾ جددوا له البيعة وعقدوها له ، وانهم لما نزلت بأبي اليقظان اجتمع الى أبي اليقظان جمع عظيم فرحل بجميع جموعه من نفوسة وغيرها ، حتى نزل من المغرب من مدينة تاهرت فلما نزل منزله . قالت نفوسة لا تقاتل حتى نرسل الى إخواننا وننذرهم فان جاءوا ورجعوا الى الطاعة كانت أيدينا وأيديهم واحدة وان أبوا من ذلك نزلنا معهم على حكم الله ، قال افعلوا ، ففعلوا فأرسلوا رسلهم وخوفوا الناس من شر العواقب ووجدوهم قد ملوا الحرب فقالوا لرسلمهم قد تقدمت فيما بيننا دماء وأموال لا منا ولا منهم ونخشى أن يأخذ الباقي من الغائر فان كان عقدوا صلحا على ان لا يتبع احد بدم ولا مال فسمعنا وطاعة ، فأعلنت نفوسة ابا اليقظان بما قالت رسلهم ، فقال معاذ الله ان نأخذ أحدا بما

(114) أمرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي من بني آكل المرار . أشهر شعراء العرب في الجاهلية وهو من أصحاب الملققات . توفي حوالي سنة 80 قبل هجرة الرسول (ص) . الزركلي الأعلام ، ج 1 ، ص 351 .

(115) وردت في الأصل « شمطا » ويشير ابن الصغير هنا إلى هذه الأبيات لامرؤ القيس :

الحرب أير ، ما تكون فتنة تسير من زينتها لكل جنود
حتى اذا استعرت وشباً ضرامها عادت عجوزاً غير ذات خليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت مكروهة للشم والتقبيل

أنظر ديوان امرؤ القيس : تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ص 353 .

(116) هكذا وردت في الأصل ، ولا ندري أهو اجتراء من موتيلانسي أم هو في المخطوط

الذي نقل عنه . وربما الصحيح يستنفرهم .

(117) بياض في الأصل .

سلف ولا آخذ إلا بما يستقبل فأعطوهم على هذا ما أحب من العهود والمواثيق ، قال ثم خرجت طائفة من عسكر أبي اليقظان حتى اجتمعت بطائفة من اهل المدينة فعقدوا ذلك فيما بينهم ، فقالت نفوسة نحن انما جئنا لإصلاح بيضتنا وتأليف أمرنا وقوام ديننا ولم نأت لطلب علو في الأرض ولا فساد ، فرحل ابو اليقظان بعساكره حتى أتى الظاهر المشرف على المدينة المعروف بقلعة نفوسة فضرب بها سرداقه الذي قدم به من بغداد ، قالوا ولم ير سرداق مضروب قبله وانما كانت مضارب وقباب ، ثم ان اهل المدينة عمدوا الى داره التي هدموها وكانت مزبلة من المزابل وكدية من الكدي فكنسوها في يومهم ذلك فابتنوها في أسرع الأيام فلما فرغت نزلها ابو اليقظان ورفع مضاربه ونزل الناس المدينة .

ادخول أبي اليقظان (118) تاهرت وسيرته

قال لي جماعة ممن شافهني من الاباضية وكلمني ، لما دخل ابو اليقظان المدينة ونزلها كان أول شيء نظر فيه من أمور الناس ان استصلح لهم قاضيا ، بعد ان شاور جماعة منهم ، فأشاروا به وكان اسم القاضي ابا عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي الشيخ ، ثم ولي على بيت ماله رجلا من نفوسة . ثم قدم على منبره من ارتضاه هو بنفسه ، ثم أمر قوما من نفوسة يمشون في الاسواق فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، قالوا ، فان رأوا قصابا ينفخ في شاة عاقبوه ، وز رأوا دابة حمل عليها فوق طاقتها أنزلوا حملها وأمرؤا صاحبها بالتخفيف عنها ، وإن رأوا قدرا في الطريق أمرؤا من حوز الموضع أن يكنسه . ولا ينعون أحدا من الصلاة في مساجدهم . ولا يكشفونه عن حاله ولو رأوه رافعا يديه ما خلا المسجد الجامع إن رأوا فيه من رفع يديه متعوزا وزجروه فان عاد ضربوه ، وكانت خطبهم على منابرهم

(118) أبو اليقظان محمد بن أفلح : (261-281 هـ) هو الإمام الرسمي الخامس - غير ترجمته في المصادر الإباضية : أبو زكرياء : سير ، ص 98 . الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 846 ، بحار ابراهيم : الدولة الرسمية ، ص 132 وما بعدها ، جودت عبد الكريم : العزلة ، ص 66 وما بعدها هامش رقم 1 .

خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (119) ، ما خلا خطبة التحكيم (120) . فلم يزل قاضيهم محمد بن عبد الله يحسن السيرة فيهم ويأمر بأمر أبي اليقظان وينهى إلى نهي لا تأخذه في الله لومة لائم ، إلى أن حدث حدث فأصبح بالغداة إلى أبي اليقظان فرمى إليه خاتمه وقطره فقال ول على قضائك من تريد ؟ فقال له مالك (121) وما اعتراك ؟ فقال له ما تقمت عليك شيئاً ولكن تقمت على بنيك ، فقال ما بال بني ؟ قال خليتهم عالية على الناس ، فغضب أبو اليقظان مما استقبله به ولم يرد عليه شيئاً . وكان للقاضي حاسدون ومبغضون ، فلما انصرف من عند الإمام قال لمن حوله إذا كان بالغداة أمضوا إلى محمد واسئلوه ما تقم علي ، وعلى من نقم لنزجره لما كان منه . فقدموا إليه فأعلموه ، فقال لهم دعوني من هذا والله لا وليت له قضاء ابداً فانصرفوا عنه وقد وافق ذلك سرورهم لحسدهم إياه وبغيهم عليه ، وأتوا أبا اليقظان فقالوا ، أصلح الله الأمير ، الرجل به حق ولك في المسلمين من هو أنفع للمسلمين منه ، فلم يزالوا به حتى صرفوه وولوا القضاء رجلاً يقال له شعيب بن مدمان ، فقلت يوماً لسليمان مولى محمد بن عبد الله القاضي ما السبب الذي كره

القاضي محمد بن
عبد الله ،
وما كان من
أمره

(119) عن يونس بن مرقا مع ما ذهب إليه ابن الصغير في س 44 حيث ذهب إلى أن الإباضية أو الرستميين يتبرأون من الإمام علي بن أبي طالب (ض) . إذ لو كان الأمر كذلك لما خطبوا بخطبه عن المنبر أيام الجمع . ولعل البراءة من الإمام علي (ض) عند الإباضية قديماً يقتصر على البعض دون البعض الآخر أنظر ص 81 هامش 126
(120) سيذكر ابن الصغير في آخر الكتاب خطبة التحكيم . وسيت كذلك لأنها تحتوي على عبارة « لا حكم إلا لله » .
(121) وردت في الأصل « ما بالك »

منه محمد بن عبد الله القضاء حتى ألقى الخاتم والقمطر وشافه أبا اليقظان بما شافه به ؟ فقال نعم ، أجرك الله يا ابني ، إنما نحن ذات ليلة جلوس بعد العشاء الأخيرة وكان كثيراً ما يؤثر بي لحوائجه على غيري ، فبينما نحن كذلك اذ دق علينا الباب دقا عنيفاً ، فقال لي يا سليمان قم فإني خشيت أن يكون حادث من قبل السلطان ، قال ففتحت الباب فإذا أنا بجارية منبهة ومعها صقلي معه سراج ، قال فقلت ما بالك أيتها المرأة ؟ فقالت القاضي أريد ، فرجعت إليه وأعلمته ، فقال أدخلها ، فأدخلتها ، فلما مثلت بين يديه ، قال لها ما بالك أيتها المرأة وما جاء بك هذه الساعة ؟ فقالت نعم دخلت علي الساعة خدام من قبل زكرياء ابن الأمير وأخذوا ابنتي من بين يدي ، فقلت لإبني قم فاتبعهم ، فقال أخاف إن أردت ذلك أن يقتلوني وإن لم يقتلوني خفت أن يدسوا علي عاملاً من عمالهم أو لصاً من لصوهم فيقتلوني ، قال فسقط القاضي كالغشي عليه . ثم أفاق ، فقال لي يا سليمان قم ؟ ثم قام ، فقال لي خذ سراجك ولا يشعر بك أحد وتقلد سيفاً واعطني عصاي ، ففعلت ، ثم قال أخرجني أيتها المرأة فخرجنا ، ثم قال إلى أين تظنين يقصد بابنتك ؟ فقالت إلى دار الزكاة ، قال فسار وسرت معه والجارية معنا حتى أتينا قرب الدار ، فقال لي يا سليمان غيب السراج لكلاً يشعر بنا أحد ، قال فسترته ، فقال لي دق الباب دقا لطيفاً ، فإذا فتح الباب فأظهر السراج ، فلما رأى صاحب الدار وأهل الدار القاضي إرتاعوا إرتياعاً

شديداً ، وقالوا فما بال القاضي ، أعزّه الله ، وما جاء به ؟ فقال لي يا سليمان اصعد الى أعلى الدار واحذر ان ينزل احد من جوانب الدار ، ففعلت ، قال ثم اقبل يتخلل بيوت الدار بيتا بيتا وموضعا موضعا فلم ير شيئا ، ثم صعد أعلى الدار والمرأة معه فلم يجد شيئا ، قال ، ثم عطف على صاحب الدار . فقال له ، هل رأيت زكرياء ابن الأمير او كان معك اليوم ؟ فقال نعم ، كان اليوم عندي فلما كان الليل أتى بفرس فركبه ، قال هل تعرف له موضعا ؟ قال لا والله أصلح الله القاضي ، فسقط في يده ثم لم يصبر⁽¹²²⁾ الا ان وصلها الى دارها ، ثم انتصرنا الى دارنا ، فما نام تلك الليلة حتى طلع الفجر ، فغدا بخاتمه ومقطره وألقاه الى صاحبه ، وكان ابو اليقظان عاش من السنين مائة ونحوها⁽¹²³⁾ وكان عمره في إمارته نحو من أربعين عاما⁽¹²⁴⁾ ، وقد لحقت أنا بعض أيامه وإمارته وحضرت مجلسه ، وقد جلس للناس خارج المسجد الجامع مما يلي الجدار الغربي ، ورأيت يومًا ثانيًا في مصلى الجنائز وقد رميت له وسادة من ادم فجلس عليها ينتظر فراغ دفن رجل مات من وجوه الناس ، وكان

(122) وردت في الأصل " يصب "

(123) يذكر أبو زكرياء والدرجيني أن أبا اليقظان عاش حتى كبرت سنّه ورق عظمه : أنظر : سير . ص 98 ، طبقات ، ج 1 ، ص 84 .

(124) تتفق المصادر الإباضية مع ابن الصغير على أن الإمام أبا اليقظان مكث في إمارته أربعين عامًا . ويبدو أن التاريخ الذي وضعه جودت عبد الكريم لإمامة أبي اليقظان صحيح وهو (241 هـ - 281 هـ) وأنظر رأيا آخر في بحار ابراهيم : الدولة الرستمية ص 132 وما بعدها . أبو زكرياء : سير . ص 98 والدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 83 . جودت : العلاقات الخارجية . ص 66 هامش 1 وما بعدها .

مربع القامة أبيض الرأس واللحية . وكان اذا جلس الناس وامرهم بالجلوس لم ينطق أحد بين يديه الا أن تكون ظلامه ترفع اليه ، وكان زاهدا ورعا ناسكا سكيئا وكان اذا جلس في المسجد الجامع جلس على وسادة من ادم مستقبلا الباب البحري ، وله سارية تعرف به يجلس اليها ، ولم يكن غيره يجلس اليها ، وكان يقابله نصب عينيه رجل من نفوسة يعرف بعيسى بن فرناس ، وكان عندهم من الورع بمكان ، ويلى عيسى رجل من هواره يقال له ابن الصغير ، شأنه في الفقه ولم يكن في ورع عيسى ، وكان عن يمينه وعن يساره وبين يديه وجوه الناس ، وكان اخص الناس به رجل من العرب يعرف بمحمود بن بكر⁽¹²⁵⁾ ، وكان غالبا فيهم تذكر عنه البراءة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب⁽¹²⁶⁾ ، وكان مدارهم الذي يذب عن بيضتهم ويدافع عن دينهم ويرد على الفرق في مقالاتهم ويؤلف الكتب في الرد على مخالفهم⁽¹²⁷⁾ ، وكان رجل يقال له عبد الله بن اللطفي ، أخبرني أحمد بن

(125) لا تذكر كتب السير والطبقات الإباضية هؤلاء الفقهاء : عيسى بن فرناس وابن الصغير ومحمود بن بكر ، اللهم إلا ما ذكره الشماخي نقلا عن ابن الصغير ، أنظر سيره ص 222 .

(126) ذكر ابن الصغير في بداية كتابه أن الإباضية يتبرأون من الإمام علي بن أبي طالب (ض) دون استثناء ، وهنا يبدو ابن الصغير لا يتهم الإباضية كلها بالبراءة من علي (ض) وإلا فلماذا ذكر محمود بن بكر وخذّه وقال عنه بأنه تذكر عنه البراءة من أمير المؤمنين علي . ونسبته إلى الفلو فقال « وكان غالبا فيهم » وهذا يعني أن الإباضية الآخرين ليسوا من الغلاة .

(127) لم تصل إلينا هذه الكتب التي رد بها محمود بن بكر على مخالف الإباضية ، ولعلها ذهبت ضحية حرق مكتبة الرستمين في المعصومة من قبل أبي عبد الله الشيعي داعية المبيدين لما دخل تيهرت غازيا سنة 296 هـ . أنظر بحار ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 310 وما بعدها ، 316-312 .

بتتير⁽¹²⁸⁾ عنه . قال لي اجتمع المعتزلة⁽¹²⁹⁾ والاباضية بنهر مينة لموعده جعلوه فيا بينهم للمناظرة⁽¹³⁰⁾ وكان كثير من هوارة ممن حضر⁽¹³¹⁾ يتسمى بعبد الله بكسر الدال وكذا اسم الرجل ولما اجتمع القوم وضمهم المكان نادى رجل من المعتزلة يا عبد الله بكسر الدال ، فاجابه رجل من القوم ، فقال لست أريدك . ثم نادى ثانيا فأجابه رجل ثان فقال لست أريدك ، قال عبد الله وقد علمت أنه اياي يريد فكرهت أن أجيبه خوفا من سؤاله ، فقال عبد الله بن اللمطي ريد ، فقلت لبيك فقال لي هل تستطيع الانتقال من مكان لست فيه الى مكان لست فيه ، فقلت لا ، فقال هل تستطيع الانتقال من مكان أنت فيه الى مكان لست فيه فقلت إذا شئت ، فقال خرجت منها يا ابن اللمطي ، وكان

(128) لعله ابن لأحد المقربين من الإمام أبي اليقظان الذي يدعى بشيراً أنظر الصفحة التالية 37 ومن هنا تأتي أهمية أخبار ابن الصغير .

(129) المعتزلة مذهب من المذاهب الدينية والفلسفية في الإسلام ، وقيل ان سبب تسمية المعتزلة بهذا الاسم ، إنما كان لكثرة إطلاقها الحسن البصري على تلميذه واصل بن عطاء لما قال بالمعتزلة بين المعتزلتين . إذ رد عليه الحسن البصري قائلاً « إعتزلنا واصل » وتتلخص معتقدات المعتزلة في (أ) المنزلة بين المنزلتين ، (ب) نفي الصفات (ج) القدرة (د) خلق القرآن . وغيرها كثير . ويذكر البكري أن جميع الواصلة (وهم المعتزلة من أتباع واصل بن عطاء) كان قريسا من سيهرت . ومن بعدهم نحو ثلاثين ألفا في بيوت كبيوت الأعراب . انظر الشهرستاني : الملل والنحل ، ج 1 ، ص 60 ، عبد الستار عز الدين الراوي : ثورة العقل (فكر معتزلة بغداد) ، ص 49 وما بعدها . البكري : المغرب ، ص 67 .

(130) أنظر رواية المناظرات التي جرت بين الإباضية والمعتزلة في أبي زكرياء : سير ، ص 67 . الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 57 ، الشماخي : سير ، ص 222، 154 . وراجع هاربراهيم : الدولة الرستمية . فصل المناظرات وعلم الكلام ص 357 وما بعدها .

(131) وردت في الأصل « حض » وهي تصحيف

منهم رجل يعرف بأبي عبيدة الأعرج⁽¹³²⁾ كلهم مقرون له بالفضل معترفون له بالعلم مسلمون له في الورع . اذا اختلفوا في أمر من الفقه أو من الكلام صدروا عن رأيه . وقد رأيت أنا هذا الرجل وجلست اليه فما رأيت في سود الرؤوس رجلا أخشع منه . وكان قليل الدخول على أبي اليقظان ولم يكن يجمعه وإياه سوى المسجد الجامع ، فحدثني أحمد بن بشير قال ضرب أبو اليقظان سرادقه لحدث أرادته وبرز بنفسه الى سرادقه ، قال وعلم الناس بخروجه فخرج اليه الفقهاء والقراء وضربوا ابنيتهم حول سرادقه خلا ابا عبيدة . قال فبينما الناس ذات يوم جلوس اذ اقبل ابو عبيدة راكبا على دابة . فقال الناس هذا ابو عبيدة قد اقبل متفقدا الامير مسلما عليه ، قال فاعلموا بقدمه ابا اليقظان فلما دخل عليه ادناه الى نفسه فقال ما جاء بأبي عبيدة الينا متفقدا ام مسلماً ام ماذا ؟ فقال ، أصلح الله الامير ، ماجئت مسلما ولا متفقدا غير ان جارة لي خرج ولدها البارحة في طلب معاش له وها ، فأخذ المحروق صاحب حرسك وحبه فأنتني الغداة باكية شاكية تسألني أن أسألك في إطلاق ولدها ، فأمر بان يطلق كل من حبس تلك الليلة إجلالا لأبي عبيدة . ثم سلم وانصرف ، فعحب الناس من صدقه وتركه التصنع وإظهاره

(132) أبو عبيدة الأعرج من علماء الإباضية بتيهرت إلا أن كتب السير والطبقات الإباضية لا تذكر عنه شيئا . وكثيراً ما أهملت تلك الكتب تراجم علمائها في تيهرت ولعل ذلك راجع إلى اندثار وفقدان مثل تلك التراجم بسبب الفتن والحرق الذي أحرق بمعاينة الرستمين . ونشير إلى أن الشماخي قد ذكر أب عبيدة الأعرج وبعض العلماء الآخرين نقلا عن ابن الصغير ، سير الشماخي . ص 223 .

على لسانه ما اسر في قلبه ، وكان أبو عبيدة هذا عالماً بالفقه والكلام والوثائق والنحو واللغة . وكان مع ديانتته حسن الادب والمروءة ، وقد اتيت يوماً أسمع منه كتاب إصلاح الغلط الذي ألفه عبد الله بن مسلم بن قتيبة⁽¹³³⁾ على أبي عبيدة⁽¹³⁴⁾ ، فلما افتتحت قراءته وقلت « لعل ناظراً في كتابنا هذا ينفر من عنوانه ويستفر من ترجمته ويربأ بأبي عبيدة عن الزلة » فلم أهزه ولم أمدّه ، فقال لي يربأ بأبي عبيدة بهمة الالف وضمه وانما ذكرت هذا الحرف لأدل على براعته في اللغة ، فلما قرأت من الكتاب مثل ورقة أو أزيد ، أتاه قوم فقالوا يا ابا عبيدة شهادة يأجرك الله عليها . فأخذ نعله وعصاه ثم قام مع القوم ، فلما كان اليوم الثاني اتيت فلما قرأت مثل ما قرأت بالأمس أتاه قوم فقالوا يا ابا عبيدة شهادة يأجرك الله عليها ، ففعل مثل ما فعل بالأمس ، فقمت معه وقلت له ، أصلحك الله . ان لي في الرهانة دكاناً أبيع فيه وأشتري وأتركه وآتي اليك فيأتيك الناس فتشتغل عني لا أنا في دكاني ولا أنا في مقابلة كتابي ، فسكت . فلما كان بالفداء أتيت فلما قرأت بعض جزءي⁽¹³⁵⁾ ، أتاه أناس فسألوه كما سألوه قبل هذا ، فقال إن

(133) ابن قتيبة وهو أبو محمد عبد الله بن مسلم الكوفي ، بها مولده ويقال له الدينوري لأنه كان قاضي الدينور . وتوفي ابن قتيبة سنة 270 هـ . له كتاب إصلاح غلط أبي عبيدة في غريب الحديث . أنظر النديم : الفهرست ، ص 58-59 ، 85-86 ، 96 .
(134) أبو عبيدة هو معمر بن المثنى التميمي من تميم قريش لا تميم الرباب له كتاب غريب الحديث ، توفي أبو عبيدة سنة 210 هـ وقيل 211 هـ . أنظر النديم : الفهرست ، ص 59 ، 85-86 ، 96 .

(135) لعل الصواب : بعض جزئه .

هذا اليوم لهذا الفتى فان أثركم على نفسه واذن لي سرت معكم ، فلما رأيت ذلك ، قلت له يا سيدي لا كل هذا فسر اذا شئت أو أقم ، وانما ذكرت هذا لأدل على مروءته وحسن أدبه ، وكان المغرب كله مفتونا بهذا الرجل حتى ان من كان من الاباضية بسجلماسة⁽¹³⁶⁾ يبعثون اليه بزكاتهم يصرفها حيث شاء ، وكانت نفوسة الجبل مفتونة بأبي اليقظان حتى أنهم أقامته⁽¹³⁷⁾ في دينها وتحليلها وتحريمها مثل ما أقامت النصارى عيسى ابن مريم⁽¹³⁸⁾ ، وكان أكثرهم لا يحج الا باستئذانه ، وكانت المرأة تبعث بابنها أو ابنتها يأخذ لها الاذن منه ، وكان اذا ضرب سرداقه وأتته وفودهم لا ينامون الليل حول فسطاطه شأنهم التهليل والتكبير من أول الليل حتى الى الفجر فاذا صلوا الفجر معه خرجوا بانفسهم الى الأرض فناموا⁽¹³⁹⁾ . وان ابا اليقظان لما استقام له ملكه أته وفود نفوسة من الجبل المعروف بجبل نفوسة ليقدم عليهم أميراً من انفسهم فانزلهم في دار الضيافة ، فقال اكتبوا الي

أبو اليقظان
يعين واليا على
نفوسة وقصة
عبد العزيز بن
الأوز

(136) سجلماسة : هي عاصمة دولة بني مدرار الصفرية بُنيت سنة أربعين ومائة . أنظر البكري : المغرب . ص 148 وما بعدها . الخوى ياقوت : معجم البلدان ج 3 ، ص 192 .
(137) الصحيح أن يقال « حتى أنها أقامته » أي قبيلة نفوسة .

(138) لا تعرف بالضبط وجه الشبه بين الإمام أبي اليقظان ورعيته من أهل جبل نفوسة من جهة وبين النبي عيسى بن مريم عليه السلام وأتباعه من النصارى من جهة ثانية فهذا التشبيه غامض نوعاً ما ولعل ابن الصغير يريد أن يعبر عن مدى طاعة نفوسة لإمامها أبي اليقظان لا غير .

(139) يذكر كل من أبي زكرياء والدرجيني والشماخي أن أهل جبل نفوسة يتخذون مجلس أو باب دار أبي اليقظان كالمسجد يسهرون حوله ، طائفة يصلون وطائفة يقرأون القرآن ، وطائفة يتذكرون في فنون العلم ، أنظر سير ، ص 98 ، طبقات ، ج 1 ، ص 82 . سير الشماخي ، ص 222 .

أسماءكم كلكم وارفعوها الي وأمر الكاتب ان يكتب السجل ويبقى بياضا لموضع المقدم فلما رفع المقدم اسماءهم اليه كتب بخط يده اسم المقدم وطواه وطبعه ولم يعلم احد من الناس من قدم ، ثم جمع القوم وقال لهم هاكم السجل ولا تفتحوه الا بجبل نفوسة اذا بلغت منازلكم ، فاخذ القوم السجل وقد اغتموا اذ لم يعلموا من المقدم عليهم ، ثم دخلوا على حمود⁽¹⁴⁰⁾ بن بكر وكان من الخاصة بأبي اليقظان فسألوه فقال لهم ما انا بأعلم منكم بما فيه ، ثم دخلوا على عيسى بن فرناس فاجابهم بمثل ما أجابهم حمود ، ثم لم يزالوا يدخلون على واحد بعد واحد من الاباضية فيسألونهم فيخبرونهم بان لا علم لهم . فلم يزالوا كذلك الى ان مروا بعبد العزيز بن الاوز ، وكان له فقه بارع وله رحلة نحو المشرق ، ولكنه سفيه اللسان خفيف العقل ينزهون مجالسهم عن حضوره ويستغنون عنه في معضلات مسائلهم ، فما شعر أن دخلوا عليه فقال ما بالك وما جاء بك ؟ فقالوا فرحنا بشيء واغتمنا منه ، قال وما ذلك ؟ قالوا فرحنا بتقديم الامام لنا واغتمنا اذ لم نعلم من قدم علينا ، قال أو لم تعلموا من قدم عليكم ؟ قالوا لا ، قال قدم عليكم أفلح بن العباس⁽¹⁴¹⁾ .

(140) ذكره ابن الصغير في الصفحة السابقة باسم حمود بن بكر .

(141) أفلح بن العباس : هو الوالي على جبل نفوسة من قبيل الإمام الرستمي بتاهرت ، وكان قبله الوالي أبو منصور إلياس الذي تولى ولاية نفوسة للإمام أفلح ثم لأبي اليقظان بن أفلح ثم لأبي حاتم بن أبي اليقظان ، وفي عهد هذا الأخير توفي أبو منصور إلياس وتولى من بعده الولاية أفلح بن العباس وهذا حتما تشير إليه المصادر الإباضية ، أنظر أبو زكرياء : سير ، ص 104-99 ، الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 87-84 . الشماخي : سير ، ص 262 .

فتلوا ومن أعلمك ذلك ؟ قال ابو اليقظان ، قال فخرجوا من عنده فأتوا حمود بن بكر وعيسى بن فرناس فقالوا لهما مكانكما من الامام مكانكما ومكاننا منكم مكاننا فكتمتا المقدم حتى اخبرنا به من هو دونكما ، فقالا والله ما علمنا الا كعلمكم ، فمن اخبركم ؟ قالوا عبد العزيز بن الاوز ، قالوا ومن أخبر عبد العزيز ؟ قالوا ابو اليقظان قال فخرجنا يجران ارديتهما حتى دخلا على ابي اليقظان ، فقالا انت اعلمت عبد العزيز ان المقدم في سجلك على نفوسة أفلح بن العباس ؟ فقال لا ، قالوا فقد ذكر نفوسة⁽¹⁴²⁾ انك أعلمته بذلك دوننا ودون غيرنا ، قال أو قال ذلك المجنون ؟ قالوا نعم ، فنادى يا بشير خذ معك اعوانا كفيما وجيء بعبد العزيز شر محيي . ثم قال ادخلا على نفوسة واجلسا - ن يأتي المجنون ، قالوا فما شعرنا ان جيء به ، فقال فمن أعلمك يا مجنون اني قدمت على نفوسة أفلح بن العباس ؟ فقال انت أعلمتني ، قال في اليقظة أم في النوم ؟ قال لا ولكن في اليقظة ، قال وكيف ذلك ؟ قال رأيته اذا يسمى رجل منهم اتقبض ما بين عينيك واذا سمي لك أفلح بن العباس انبسط ما بين عينيك ، فعلت انك إياه تريد ، فقال خليا عن المجنون فقد كشف سرنا . فلم تنزل ايام أبي اليقظان ثالثة . ولا ينتقم عليه احد شئ مما وني من أفعاله ، ما خلا أولاده فإنهم ربما خرجوا عن الواجب من أفعالهم ، ومما يذكر عنه من ورعه وتقشفه ، أن رجلا يكنى بأبي سابق

(142) المقصود به « ذكر أهل نفوسة » .

جانب من
سيرة أبي
اليقظان المأثية

وكان خادماً لأبي اليقظان في جميع أسبابه وكان يتولى علف فرسه ، قال لي احمد بن بشير : قال لي ابو سابق ، خرج ابو اليقظان يوماً الى منزله الذي كان اختصه ⁽¹⁴⁴⁾ بتسلون ⁽¹⁴⁴⁾ يتفقد في سايعة ⁽¹⁴⁵⁾ وعبيده وابطاً في انصرافه الى ان دخل الليل ، قال ابو سابق فحططت عن الفرس وربطته على مدرته ، وخرجت لآتي له بعلفه من عند حريف ⁽¹⁴⁶⁾ لي فألفيته قد اغلق الباب فملت الى بيت المال ففتحته واخذت منه علف الفرس ، وعلقت عليه ، ثم رجعت الى موضعي من القصر واذا بأبي اليقظان قد افتقدني مرة بعد أخرى فلما رأيته جعد اليه خادم فاخبره بمجيئي ، فقال أصعده الي ، وكان يستريح الي ويسألني عن اخبار الناس ، فقال وما حبسك وما ابطأ بك ؟ فاعلمته خبر الحريف غيبته ومجيئي لبيت المال واخذي العلف منه وتعالقي اياه الفرس ، فقال هه يا ابا سابق والله لا قام مجد ولا أكل ولا شرب حتى تمضي وترد في بيت المال ما أخذته منه ، قال فمضيت في لينتي تلك حتى أتيت حريقي واخرجته من داره واخذت منه علف الفرس ثم مضيت وانزعت الخلعة عن الفرس فكلت ما بقي واتممت ما اخرجت من بيت المال ورددته فيه

(144) ربما الصحيح اختطه .

(144) انظر ص 74 هامش 112 .

(145) سايعة . لا نجد هذه الكلمة في المعاجم العربية . ولعلها من اصل كلمة استسعى وسعى فيقول " سعى المكاتب في عتق رقبته سعاية " واستسعى العبد أي كلفه سيده من العمل ما يؤدي به عن نفسه إذا اعتق بعضه ليعتق به ما تبقى . والسعاية ما كلف من ذلك . ابن منظور : لسان . م 2 ، ص 152 .

(146) أي صاحب حرفة . والمقصود هنا شخص تعود أن يشتري منه العلف .

وعلقت ما بقي على الفرس ، ومضيت اليه فاصبته جالسا ينتظرني ، فقال ما وراءك يا ابا سابق ؟ فاعلمته بما صنعت ، فقال لي احسنت اما الآن فأجلس . ولما مات ابو اليقظان فكل شيء وجد له من العين في تركته سبعة عشر دينارا ، وكانت لأبي اليقظان في امارته وقائع صارت تاريخاً لموالد الناس لشهرتها الى ان قال ثم مات ابو اليقظان سنة احدى وثمانين ومائتين ⁽¹⁴⁷⁾ وخلف من الولد الذكور عددا منهم يقظان الذي كني باسمه وكان ابنه يقظان هذا خرج الى الحج في حياة ابيه ، ويوسف وهو المكنى بأبي حاتم وابو خالد وعبد الوهاب ووهب وغيرهم ممن له ذكر . وانه لما مات ابو اليقظان قامت العوام واهل الحرف ⁽¹⁴⁸⁾ ومن لف لفهم ⁽¹⁴⁹⁾ ، فقدموا ابنه ابا حاتم بلا مشورة أحد من الناس لا من القبائل ولا من غيرهم ، وكان أبو حاتم هذا فتى شابا وكان يجمع الفتيان الى نفسه فيطعم ويكسي ، وكانت له أم تسمى غزالة وكانت مالكة لأموار أبي اليقظان وحشمه ، فلما كان في بعض الاعياد وابو اليقظان حي في قصره لم يحضر المصلى مع الناس حملته العوام على درقة ⁽¹⁵⁰⁾ ونادت بطاعته ، فلما اتصل الخبر بأبي اليقظان قال لأمه احذري يا غزالة فقد أصبح ابنك باغيا .

(147) هذا هو التاريخ الوحيد الذي ذكره ابن الصغير في كتابه .

(148) وردت في الأصل " أهل الحروف " والصحيح ما أثبتناه في المتن ، وهو أيضا ما ترجمه

موتيلانسكي أنظر p.114 Actes du 14^e congrès .

(149) وردت في الأصل " ومن لف لفهم " .

(150) درقة : الدَّرَق ضرب من التَّرس (جمع ترس آلة السلاح المعروفة) الواحدة درقة

تتخذ من الجلود أو هي الحَجَفَة وهي ترس من جلود ليس فيه خشب ولا عقب ، ابن منظور :

لسان ، م 1 ، ص 971 ،

وفاة
اليقظان
ابي

ولاية أبي حاتم وإيامه (151)

وهو يوسف بن محمد ، وقال مات أبو اليقظان وإبناه جميعا غائبان ، يقظان بالموسم وأبو حاتم قد كان أخرجه أبوه في جيش مع وجوه زناتة ليجيروا⁽¹⁵²⁾ قوافل قد أقبلت من المشرق ، وفيها أموال لا تحصى قد خافوا من قبائل زناتة ، فبينما أبو حاتم في القوافل قد خرج إليها إذ وافته خاتم رسل بموت أبيه وعقد الإمارة له ، وذلك أن أباه لما مات اجتمعت العوام والفرسان دون القبائل فنادوا لا طاعة لأحد إلا لأبي حاتم وأبو (حاتم) على مسيرة يومين من المدينة أو أكثر ، فلما وصل إلى باب المدينة ازدحم الناس بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره فبايعوا ، فلما وصل المسجد الجامع إلا وقت الظهر ، فأصعدوه المنبر وبايعوه وكبروا حوله وحملوه على الأيدي والأعناق ، حتى وصلوه إلى داره ، ثم أرسلوا إلى القبائل فبايعته ، فلما كمل أمره وتمت بيعته

(151) أبو حاتم يوسف بن أبي اليقظان (281 هـ - 294 هـ) من الإمام "الرسطي السادس".
أنظر مزيداً من المعلومات عنه في المصادر الإباضية . أبو زكرياء : سير ، ص 99 وما بعده
الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 84 وما بعدها الشماخي : سير ، ص 262 - بحاز إبراهيم : الدولة
الرسطية ، ص 134 جودت عبد الكريم : العلاقات ، ص 68 .
(152) وردت في "فصل" ليجوروا " وهو خطأ والصحيح يجيرون أي يراقبوا ويؤمنوا
وصول القافلة إلى تاد .

خلت به عشيرته واخوته واعمامه وبنو أعمامه ومواليه فاحبوا ان يجعلوا له حجاباً وهيبه ، وأبت العوام من ذلك وارادت الدنو إليه في كل الأوقات على ما كانت تعرف قبل إمارته . وكانت مشايخ البلد من غير الاباضية قد استولوا عليه ، منهم رجل يعرف بأبي مسعود وكان كوفياً فقيهاً بمذاهب الكوفيين⁽¹⁵³⁾ ، ومنهم شيخ يعرف بأبي دنون ، وكان على مثل صاحبه من الفقه الكوفي ، ومنهم رجل يعرف بعلوان ابن علوان لم يكن من أهل الفقه ولكن كانت له رئاسة في البلد ومحبة عند العوام ، وكانوا⁽¹⁵⁴⁾ هؤلاء قد طمعوا ان يبيتوا خبر الاباضية ويطفؤهم ، وكان لأبي حاتم رجلان من خاصته من أهل المدينة من أهل الحرب والنجدة ، وكانا هما اللذان وليا العقد له ، وكان يعلم منهما انها جريئان . وذلك أنه انصرف يوماً من عند أبيه وقد أخذ⁽¹⁵⁵⁾ في شيء عليه ، فقالا له ما بالك ؟ فقال نازعني أبي كذا وحل علي أخي بكذا ، فقالا له لا عليك اثبت كما انت واخل بيننا وبين هذا الخوغاء⁽¹⁵⁶⁾ نحن ندخل اليه فنقتله ويصير الأمر اليك ، فهاله ما سمع منها فاستنكر ذلك وكان يقول لأحدهما محمد بن رباح وللآخر محمد بن

فتنة محمد
بن رباح ومحمد
بن حماد

(153) لعل أبرز مذاهب أهل الكوفة في هذه الفترة المذهب الحنفي حيث أن الكوفة هي موطن أبي حنيفة النعمان بن ثابت (150.80 هـ) إمام المذهب الحنفي . وكذلك نجد الشيعة تستوطن هذه المدينة حيث مشهد الإمام علي (ض) .

(154) الأصل أن يقال « وكان هؤلاء » .

(155) ربما الصحيح « وقد أخذه » .

(156) الخوغاء أو الخوغاء وكلاهما يجوز وهو الرجل الأحمق . ابن منظور : لسان ، 1 ،

حماد ، فاتصل بأبي حاتم مع منافرتهم لمشايخ أهل المدينة انها قد قالوا لمشايخ أهل المدينة مثل ما قالوا له في أبيه ، فلم يشك ابو حاتم عند ما بلغه انها قد قالوا ما قالوا . فجمع جماعة من أهل بيته وجماعة من أهل المدينة ، فقال لهم أخرجوا عني محمد بن رباح ومحمد بن حماد فأمر بهما فأخرجوا . وكان لمحمد بن حماد على بعض أميال من المدينة منزل يقال له المثلث قد جمع الأشجار والأنهر⁽¹⁵⁷⁾ والمزارع والنخل والقصور فخرجوا جميعاً الى ذلك المنزل في أنعم عيش وأرغده ، ثم أبه⁽¹⁵⁸⁾ الشيطان لهما الى ان جاء لهما واقبل وادبر فقال مثلكما ينفي وانتما اللذان عقدتما الامارة ؟ فلم يزالا يرسلان رسولا بعد رسول الى من في المدينة من اخوانها ويقولان لهم اترضون ان يكون مثلنا ينفي من البلد بلا جناية كانت منا . فيجتمع اخوانهم ويقولون والله لقد صدقا ، ثم اتفق من بالمدينة من اخوانهم على ان يرسلوا اليهما فيدخلوها على رضي الراضي وسخط الساخط ، فما شعر ابو حاتم الا والتكبير عليهما في المدينة ، ففرع لذلك وارتاع وعلم انها ليست بدار قرار ، فاجتمع اليه قومه وأهل بيته فقالوا له قد اعلمناك هذا أولاً ، ولكن أقم بين ظهران القوم ونخرج نحن الى حصننا الذي به مواشينا وعبيدنا وهو حصن يعرف بناليت في طرف لواتة ، فاذا صرنا اليه

(157) الأصح الأنهار كما قلنا سابقاً .

(158) أبه ، أبها وأبها فطن وقيل أبه للشيء أبهاً : نسيه ثم تفتن له . ابن منظور : لسان ،

واجتمعنا به ورأينا به لواتة وغيرها من القبائل ناصرنا
أخرجناك إلينا ، ففعلوا ذلك فلما رأت بقية العجم الساكنين
بمدينة تاهرت ما فعلت الرسمية خرجت إلى حصنها وفعلت
نفوسة مثل ذلك . ثم أقام أبو حاتم بعد ذلك أياما ، ثم خرج
وأخرج معه من وجوه أهل البلد من السحيين⁽¹⁵⁹⁾ وغيرهم
نحو مائة رجل ، وكان إخراجون معه حماة البلد منهم رجل
يعرف بيكر بن يبيدنى ، ومن السحيين⁽¹⁶⁰⁾ رجل يعرف
بيكر بن الواحد . وكان هذان الرجلان فارسي المغرب ،
وبقيت العامة ومتايخ البلد في جمع عظيم وعلموا أن الحرب
قد دهمتهم فأسرعوا في بنيان حصنهم ، ثم إن أبا حاتم لما
خرج اجتمعت لواتة كلها إليه . فأعطى الأموال وحمل على
خبل . فاجتمعت قبائل الصحراء إليه . خلا الحصن المعروف
بتلغمت⁽¹⁶¹⁾ وأهل الصفرية⁽¹⁶²⁾ فإنهم مالوا إلى المدينة ، ثم
جمع أبو حاتم جموعه وزحف إلى المدينة من ثلاثة مواضع :
من القبلة والمشرق والمغرب ، فتولى بنفسه القبلة مع لواتة
والرسمية وما شايعه . وتولى المشرق العجم وصنهاجة ومن

(159) (160) وردت مسيحيين وهو خطأ في أصلنا والصحيح هو السحيين . ومن يمكن أو
يجوز أن يسمى رجلا بيكر بن الواحد ويكون من المسيحيين . ولعل التعريف من
سنيانكي لأنه لا يعرف السحيين .

(161) تلغمت هي غربة المعروفة اليوم بتلغمت في صحراء الجزائر على الطريق
مربطة بين مدينة الأغواط ومدينة غرداية وتبعد عن هذه الأخيرة بنحو 90 كيلومترا . وأنظر
بروني : لأزهر . ج 2 . ص 270.269 .

(162) نصيرية : وهم أتباع عبد الله بن نضار وإليه النسبة . قيل سُموا بذلك لفرة
وحولهم من كثرة العبداء وهذا ضعيف . أنظر خبرد : الكامل في اللغة (باب الخوارج) ص 105 .
والنصيرية كما هو معروف من مذاهب الخوارج .

شايعهها ، وتولى المغرب طوائف⁽¹⁶³⁾ من الناس مع نفوسه ،
وكان قتال شديد من الوجوه الثلاثة . وكانت الدائرة من
الوجوه الثلاثة على أهل المدينة فقتل من ناحية القبلة رجل
من أهل دمر ، وقتل من ناحية المشرق رجل يعرف
با (...)⁽¹⁶⁴⁾ قتلته العجم ، ولم يصب من ناحية المغرب
أحد . وكانت مادة هذا المقتول رجل سيء الحال فلما قتل
ولده ، عدى على رجل يقال له جان من العجم من سكان
المدينة فقتله غيلة من غير أن يشعر به الناس ، فلما
علموا⁽¹⁶⁵⁾ الناس بالأذاة⁽¹⁶⁶⁾ بادروا إليه ليقتلوه به فولى
هاربا فلم يقدر عليه ولم يعرف له مكان ، فاجتمع الناس
فقالوا نحن إنما قمنا لمحاربة هؤلاء القوم لنأمر بالمعروف
وننهي عن المنكر ، وإذا كان يقتل بين ظهراننا رجل بغير
حق فامضوا بنا إلى أبي حاتم لندخله يقتل هذا وأشياعه
ويحكم فيمن بقي كيف يشاء ، وأرسلوا بذلك إلى أبي حاتم
فقال لا أفعل إلا أن تدفعوا إلى مشايخكم ومن أثار هذه
الفتنة منكم ، فندم عند ذلك أهل المدينة وانكسروا عما كانوا
عليه ، وتجدد الحرب إلى أن قال : واجتمع وجوه أهل المدينة
فقالوا إن القبائل رمتنا عن قوس واحد ، والاباضية قد

(163) طوائف : ربما يقصد بها الكثرة من الناس ونقلت لا يجب هذا المعنى في مواضع أخرى
لأن الطائفة والطوائف تعني العداوة . أنظر ابن منظور : لسان ، ج 2 . ص 630 .

(164) بياض في الأصل .

(165) الأصح أن يقال « فلما علم الناس » .

(166) الأداة : الأذى يقال أذاه يؤذيه أذى وأداة وأذية . ابن منظور : لسان .

م 1 . ص 41 .

كلبت علينا وهم لا يكفون عن حربنا ما لم يكن عندنا
رئيس من الرستيين ينحل مذاهب الاباضية ، وقد علمت ان
يعقوب بن أفلح مصارم لأبن أخيه منذ زمان ، وان ابا حاتم
منذ ولي ترحل يعقوب ونزل بزواغة فلم يدخل للرستية
جمعا ولا اعان ابن أخيه برأي ولا غير ذلك ، فأرسلوا إلى
يعقوب بن أفلح (167) .

ولاية يعقوب بن أفلح (168)

ولما اجتمع اهل المدينة على ولاية يعقوب بن أفلح
وأرسلوا اليه وادخلوه المدينة وعقدوا له الولاية انكسرت
شوكة الاباضية ودخل عليه جماعة منهم ، ورجعت اليه
جماعة من لواتة وبقيت الحرب متمسكة بين يعقوب بن أفلح
وابن أخيه أبي حاتم الا انها ضعفت وانكسرت نواكبيها
وجمهور الاباضية مع أبي حاتم ، الى ان زحف وانودين (169)
بن معه وزحف أبو حاتم ومن معه ، فلما فعلا أمر يعقوب
بن أفلح بآبواب المدينة فغلقت الا بابا واحدا وقف عليه
يعقوب بجمهور الناس ويميل بالحكمة من معه اذا قرب
العساكر منه ، فلم يزل الناس متواقفين الى ان حضر صلاة
الظهر ، فاذن المؤذنون في مصافهم ذلك وصلى الناس صلاتهم
ووانودين ومن معه قاتلون ينظرون الى الناس فيسقط في

(168) لاباضية لا يعتبرون يعقوب بن أفلح من فئة الدولة الرستية وكذلك اليتقان بن أبي
اليتقان الذي ارتقى عرش الرستيين بعد مقتل الإمام أبي حاتم يوسف وإنما يعتبرون الدولة
الرستية وبممتها انقطعت بموت الإمام أبي حاتم يوسف سنة 244 هـ . انظر الدرجيني : طبقات ،
ج 1 ، ص 94 . الباروني : الأزهار ، ج 2 ، ص 272 وقد حكم يعقوب بن أفلح في تاهرت بعد
خروج الإمام أبي حاتم منها أربع سنوات أي (281-284 هـ) . وأنظر علي يحيى معمر : لاباضية
في الجزائر ، ص 83 .

(169) لأول مرة يذكر ابن الصغير هذا الشخص ، ولا يذكر عنه أي شيء آخر لا نجد له
ذكراً في الكتب الاباضية ما عدا الباروني الذي يذكره نقلاً عن ابن الصغير ويسميه " وانودي " .
الباروني : الأزهار ، ج 2 ، ص 272 .

(167) لا تذكر المصادر الاباضية شيئاً عن منافسة يعقوب بن أفلح لابن أخيه أبي حاتم
يوسف بن أبي اليتقان بن أفلح ولكنها تشير إشارة عابرة إلى أن أبا حاتم إطردت له الأمور ولم
تضف أي شيء آخر ، أنظر : أبو زكرياء : سير ، ص 99 . الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 84 .
الشماخي : سير ، ص 262 .

يديهم ، وتحولت نياتهم على المحاربة وندموا على قدومهم .
فغير ان ابا حاتم ومن معه من العجم استداروا من جهة
مشرق وحلوا مصاف رجاء ان يصيبوا غرة⁽¹⁷⁰⁾ ففتح من
كان بناحية الباب الشرقي الباب وخرجوا اليه حملة واحدة
فولوا منهزمين بين ايديهم ، فلما رأى وانودين ما رأى
نصرف بعساكره وضعفت الحرب بعد ذلك ، وتطامع الناس
في العافية . وكان يعقوب بن أفلح بعيد الهمة نزيه النفس
مجلس بيده دينار ولا درهما ، وكان اذا اتى وكيله بغلاته
أمره ان يجعلها تحت بردعة له يجلس عليها واذا اراد اخراج
شيء منها دفعه بقضيب من يده ، وكان اذا سافر ونزل يقوم
لم يأكل لهم طعام . وكانت له بقرات يأمر بحلبها بين يديه
فان اذاء جديده فاذا امتلأ شربه أجمع ثم يقوم عليه ثلاثا لا
يأكل طعاما ولا يشرب شربا ، ولا يخرج لبراز ، وكان
موضوعه طاهر (كذا) في الموضع الذي يكون فيه . شهد منه
ذلك جماعة ممن تحب واستفاض ذلك عنه حتى صار
كأنعيان . وكانت له أخلاق في لباسه وركوبه . يخرج عن
طبع البشر⁽¹⁷¹⁾ . حجرة سراويله في جنبه . وركوبه فرسه
من بين يديه . وكان له فرس اشقر لم يكن بالغرب مثله
بينه ولا بعده . به يضرب المثل الى اليوم⁽¹⁷²⁾ . فلما طالت

نزاهة يعقوب
بن أفلح
ودورعه

الحرب بينه وبين ابن أخيه ورقت . وتطامع الناس
العافية ، نزل أبو يعقوب المزاتي⁽¹⁷³⁾ بجميع مزاته حول البلد
وكان رأس القوم وملكهم ، فمشت اليه القبائل وقالوا لو
جعلت الهدنة بين هذين الفريقين الى مدة معلومة يأمر
الناس اليها فقد قطعت السبل وفرغ من ايدي الناس
الحرث والنسل⁽¹⁷⁴⁾ ، فسعى في ذلك واجتهد حتى انتهى
الفريقان ، فقالوا ليعقوب قدم من يعقد لك الهدنة فقدم
عبد الله بن المظني صاحب المسئلة⁽¹⁷⁵⁾ في أعلى الكنار ،
(كذا) وقدم أبو حاتم منكود وابن ابي عياض اللواتيين⁽¹⁷⁶⁾ .
وبرز الناس من كلا الفريقين وسلموا الامر لمتولي عقد
الهدنة ، فعقدوا ان يرفعوا أيدي أبي حاتم ويد يعقوب عن
النظر أربعة اشهر ، ويمشي الناس الى الناس ويدخل بعضهم
على بعض وتأمين الساحات ، فتم العقد على ذلك وتطامع
الناس العافية ووجدوا حلاوتها . وكان أبو حاتم اذا لقي
أحدا من وجوه أهل تاهرت وشبابهم استماله ، فان كان على
القرب استمال به الى نفسه ، وان كان على البعد زوده
وأعطاه ، فمالت قلوب الناس اليه . ومن⁽¹⁷⁷⁾ يشب في
سفك الذماء واكل الاموال فانه بقي متصلا بيعقوب . وأبو

(173) أبو يعقوب المزاتي من أرباب الثروة وكذلك قبيلته مزاتة أنظر الباروني : الأزهار .

ج ٤ ، ص ٤٧٤ . وفيه قال الإمام عبد النور " إنما قدم هذه السنين بأصول مزاتي وسيور
نقوة " .

(174) وردت في الأصل " النهل " وهي تصحيف نسل .

(175) ذكره ابن الصغير في المناظرة التي جرت بين الإباضية والمعتزلة أنظر صفحة 82 .

(176) لا تذكر المصادر الإباضية هذين الشخصين .

(177) وردت في الأصل " ممن " وهي لا تؤدي المعنى المطلوب والصحيح " ومن " .

(170) وردت في الأصل " غرة " .

(171) وردت في الأصل " الشر " .

(172) نفس هذه المعلومات تقريبا عن الفرس الذي يملكه يعقوب بن أفلح والذي به هرب

من قبضة العبيديين سنة 296 هـ إلى مدينة وارجلان . نجدتها في المصادر الإباضية : أبو زكرياء :

ج ١ ، ص 104 .

يعقوب المزاتي دائما في اصلاح ما رأى فبيضا الناس ذات يوم في عيد من اعيادهم . اذ اقبل رجلا من احرشيات (178) على المدينة . ولم يكن في البلد اذ ذاك اوسع منها جها ولا أكثر عشيرة ولا اسم قلبا ، يقال لأحدهما احمد والآخر محمد يعرفان بين دبوس⁽¹⁷⁹⁾ ، وبين ايديهما قفولهم⁽¹⁸⁰⁾ يقولون من أراد "عافية"⁽¹⁸¹⁾ فليصعد الى الكنيسة . وكانت دار هاذين الرجلين تعرف بالكنيسة . فبادر الناس ولم يختلف عنهما احد خلا يعقوب وشيعته وبعض مشايخ ممن يشب في عداوة أبي حاتم منهم شيخ يعرف بابن مسعود هو شيخ البلد ومقدمه . فما رأى ابن مسعود اجتماع الناس واطباقهم على هذين الرجلين صعد لهما وقال لهما ويحك ، الى ان قال : فلما دخل ليل ركب محمد واحمد فرسيهما وعلم بذلك من سمع من الناس فتبعوهما وخرجا قاصدين نحو أبي حاتم وتصل الخبر بيعقوب وشيعته فركبوا خيولهم وخرجوا نحو زواعة فبيضا أبو حاتم في منزله وقصره بنهر مينة اذ دخل عليه محمد وحمد وجاعة الناس فقالوا قم فاركب الساعة فخرج معهم وليس معه أحد من عشيرته ولا من رحلته فلم يصبح الا على باب مدينة وبادر اليه الناس اجمع .

(178) لا تذكر المصادر لاباضية بن دبوس . وشيخ لا رأيت ما ذكرت ذكر ابن عمته ومسحبه من هل تيهرت ونصب اقامه على الغم ومنسحي جبر سنة ومصدق القرية منه فقط .

(179) قفولهم : لا تذكرها المعجم والقواميس العربية . ونوع المتصوفين " جماعته " وهي من كلمة " فوافيه " .

(180) وردت في الاصل " للعافية " .

دخول أبي حاتم تاهرت وسيرته بها

قال : ولما دخل أبو حاتم مدينة تاهرت جمع مشايخ البلد اباضيتها وغير اباضيتها فاستشارهم فيمن يوليه قضاء المسلمين فقالوا له ان اباك لما دخل كدخولك ولي محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ وهو القاضي الذي قدمنا ذكره قبل هذا⁽¹⁸¹⁾ ، ولمحمد ولد يسمى عبد الله وما هو دون أبيه في الورع والعلم وأنت عالم بورعه ودينه كما نحن عالمون به فقال اشترم وأحسنتم . وولاه القضاء ثم قال من ترون ان نولي بيت "ال فقالوا عبد الرحمان بن صواب النفوسي ، فقال أصبتم وأحسنتم فقال من ترون أن نوليه الشرطة فقال قوم زكار وقد قتل ابنه بين يديك وله نصيحة ، وقال قوم ابراهيم بن مسكين فان له صلاته في الحق⁽¹⁸²⁾ ، فولاهما . جميعا وكان البلد قد فسدت وفسد اهليها في تلك الحروب ، واتخذوا السكر اسواقا ، والغلمان اخداناً ، فلما ولي هذان الرجلان الشرطة قطعاً ذلك في أسرع من طرفة العين ، وحملوا على الناس بالضرب والسجن والقيود ، وكسرت الخواصي بكل دار عظم قدرها أو صغر ، وشردت الغلمان واخذانهم الى

(181) أنظر صفحة 77 ، هو قاضي الإمام أبي ابيقطان ، وأنظر الشماخي : سير ، ص 262 .

(182) يذكر الشماخي هؤلاء الأشخاص نقلا عن ابن الصغير ، أنظر سير ، ص 263 .

روس الجبال وبطون الأودية ، وحمل الناس على الواضحة
 وأخاف⁽¹⁸³⁾ النطف وأمن البرى⁽¹⁸⁴⁾ ، وشردت السراق
 وقطاع الطريق ، وامنت السبل ومشى الناس بعضهم الى
 بعض . ولم ينقموا على ابي حاتم شيئاً ثم تقموا بعد ذلك شيئاً
 أخذه ناساً بالتهمة وضرب السوط على الظنة الا ان البلد
 وقضاته وأصحاب بيت أمواله وأصحاب شرطته ومن بالبلد
 من فقهاء الإباضية وغيرهم لم يطالب بعضهم ولا سعى
 بعضهم ببعض / وكانت مساجدهم عامرة وجامعهم يجتمعون
 فيه وخطيبهم لا ينكرون عليه شيئاً الا ان الفقهاء
 تناجت⁽¹⁸⁵⁾ المسائل فيما بينهم وتناظرت واشتهت كل فرقة
 ان تعلم ما خلفتها فيه عاقبتها (كذا) ومن أتى الى حلق
 الإباضية من غيرهم قربوه وناظروه الطف مناظرة وكذلك
 من أتى من الإباضية الى حلق غيرهم كان سبيله كذلك . قال
 لي يوماً ، ونحن في أعلى مسجد بالرهادنة ، رجل من وجوه
 الإباضية من هواره يسمى سليمان ويكنى بأبي الربيع⁽¹⁸⁶⁾ .
 من اين زعمت وزعم اصحابك وغيرهم من الحجازيين⁽¹⁸⁷⁾

ملاح من
 الحياة الفكرية
 في عهده

(183) وردت في الأصل " خاف " .

(184) البري : أو البرية أو الورى شيء واحد والمقصود بها الخلق . أنظر ابن منظور :

بيان . ج 1 . ص 206 .

(185) وردت في الأصل " تناجيت " .

(186) أبو الربيع سليمان الهواري ، تذكر المصادر الإباضية العديد من الأشخاص بهذا الاسم والكنية ولكنهم نفوسيون على أكبر تقدير . وأقربهم إلى فترة ابن الصغير سليمان بن زرقون وسليمان بن ماطوس أبو الربيع . وكلاهما من الطبقة السابعة (300-350 هـ) أنظر الدرجيني : طبقات . ج 2 . ص 349 .

(187) لعله يقصد بالحجازيين أتباع الإمام مالك بن أنس (ض) أي المالكية .

والسراق⁽¹⁸⁸⁾ ان الرجل اذا زوج ابنته البكر وهي صغيرة
 وأدركت ان لا خيار لها في نفسها وانتم تقولون ان الرجل
 اذا زوج أمته وعتقت أن لها الخيار ولا فرق بين الأمة وبين
 الصغيرة لأن الأمة لم يكن لها حكم في نفسها وانما كان الحكم
 لسيدها فلما عتقت وصار الحكم اليها جعلتم لها الخيار
 والصغيرة لم يكن لها حكم في نفسها وان الحكم لأبيها فلما
 أدركت صار الأمر اليها فلم منعتوها ما أجزم للأمة والمعنى
 واحد ؟ فحكيت ما ذكر لي لغير واحد منهم وما اعتلت به
 عليه فاعتلوا بعلمه وغير علمه وزادوا وتقصوا . وقد
 جمعت⁽¹⁸⁹⁾ ما دار من جميع ذلك بيني وبينهم مما اعتلوا به
 ومما يدخل لهم ، او ما ذكروه ، فقلت له ولغيره ممن
 كانني ، إنما اجزنا نكاح الصغار لأن النبي ﷺ تزوج
 عائشة بنت ابي بكر بنت سبع وبني بها وهي بنت تسع
 فقال لي دعني من هذا فاني لا اجامعك عليها ، ولكن كلمني
 من القراءان أو من باب النظر ، مع أني لو بينت لك الخبر
 ما كان لك فيه حجة . لأنك تعلم ان الله أحل لرسوله من
 النساء ومن عددهن أكثر مما أحل لأمته ، وأحل له الموهبة
 بغير ذلك ، فان كان عندك حجة غير هذه فاذكرها والا
 فلا تقم لك حجة ؟ قلت له فان أوجدتك صحة عقدها من
 القرآن أترجي ؟ فقال لي من القرآن فقلت نعم فكرر علي

(188) لعله يقصد بالعراق أتباع الإمام أبي حنيفة النعمان (ض) أي الأحناف أو مذاهب

الشيعة .

(189) وردت في الأصل " اجتمت " وترجمها موتيلانكي إلى تحقت .

ثلاثاً وفي كل ذلك أقول نعم ، فقال فاذكر لي ذلك فقلت له قال الله تبارك وتعالى : « واللّائي يئسن من المحيض من نسائكم الى واللّائي لم يحضن » ⁽¹⁹⁰⁾ فقال لي عجباً منك ، أنا أسألك عن عقد النكاح وفسخه وأنت تخبرني عن عدد المويسات ⁽¹⁹¹⁾ وعدة اللّائي لم يحضن ؟ فقلت هيهات أبا الربيع غاب عنك المراد ، قال وما غاب عني من ذلك ؟ فقلت أخبرني عن هذه العدد الموصفات من طلاق وقعن أم من غيره ؟ قال من طلاق ، قلت فهل يقع طلاق من غير أن يكون عقد نكاح ؟ قال لا ، قلت في المويسات فمنهن ⁽¹⁹²⁾ اللّائي قد بلغن من السنين ما لا يحيض مثلهن ؟ قال نعم ، قلت واللّائي لم يحضن من الصغر قال نعم قلت فاوجب الله عليهن عددا قال نعم ، قلت أمن طلاق أم من غير طلاق ؟ قال من طلاق ، قلت فيكون طلاق من غير عقد نكاح ؟ فسكت ولم يرد جواباً . فأعلمت غيره بما دار بيني وبينه فقال لي مضي ⁽¹⁹³⁾ في المطالبة لك ، فقلت فاذكر لي ما مضي ⁽¹⁹⁴⁾ فيه ؟ قال قول الله « واللّائي لم يحضن » المراد التي لم يخلق فيهن الحيض وهن الكبائر لا الصغار ،

(190) آية رقم 4 سورة الطلاق وقام الآية : « واللّائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبته فعدتهن ثلاثة أشهر واللّائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً » .

(191) المويسات : ما ترد في القواميس العربية

(192) ربما الصحيح أن يقال « أفمنهن ... ؟ » .

(193) (194) وردت في الأصل « مضر » وهو تصحيف « مضي » على ما يبدو . وقد ذكر ابن منظور كلمة « مضر » ولكنها لا تؤدي المعنى المقصود في نص ابن الصغير ، أنظر لسان العرب ، ج 3 ، ص 496 .

قلت هذا غلط في اللغة يلزمك فيها من الشناعة أكثر مما لزم صاحبك ، قال وكيف ذلك قلت « لم » لا توضع للمستقبل ولو أراد ما قلت لكان موضع « لم » ، « لا » فيقال لا تحيض ⁽¹⁹⁵⁾ فلانة إذا نفوا عنها الحيض أي ليست ممن تحيض ، وإذا قيل لم تحض فلانة معناه أنها لم تحض بعد وإنها ستحيض في المستقبل . وربما حرّف خطباءهم اللفظ عن موضعه ليقبوا الأمر الذي يريدونه ، حضرت لهم خطباء كثيرة أولهم ابن أبي دريس ، والثاني أحمد التيه والثالث أبو العباس بن فتحون ، والرابع عثمان بن الصفار ، والخامس أحمد بن منصور ⁽¹⁹⁶⁾ . فسمعت أحمد التيه يقرأ بعد فراغ إلى أن بلغ « تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى » ⁽¹⁹⁷⁾ فحرف المعنى عن موضعه أراد أن يقيم أصله وجعله ⁽¹⁹⁸⁾ باباً من الحلول على العرش ⁽¹⁹⁹⁾ . وكل

(195) في الأصل وردت هذه العبارة مرتبكة هكذا « قلت لم لا تضع إلا للمستقبل ولو أراد ما قلت لكان موضع لم لأن لاياً فيقال لا تحيض فلانة » والتصحیح من مطبوعة تونس .

(196) يذكر الشماخي هؤلاء الخطباء نقلاً عن ابن الصغير ، أنظر سير الشماخي ، ص 263 .

(197) آية رقم 5 سورة طه .

(198) وردت في الأصل « وحفله » .

(199) إن ابن الصغير هنا أمام اتهام خطير للإباضية بتحريف اللفظ عن موضعه في القرآن الكريم . ويبدو لنا من المثال الذي قدمه إلينا ابن الصغير وهو « الرحمن على العرش استوى » وقال بأن الخطيب الإباضي حرّف المعنى عن موضعه ليحمله بآب من الحلول على العرش ، إنما قل ذلك من باب سوء الفهم ، فلعل الأمر هنا مجرد اختلاف في القراءات لا غير . أساء ابن الصغير فهم ذلك ، فتنت التهمة التي أطلقها متحرجاً (ربما) على الإباضية لا يمكن فهم معناها وحملها إلا على هذا الوجه وأنها مجرد اختلاف في القراءات . إذ الإباضية ، حسبنا نعلم ، لم تنتهم بتحريف اللفظ أو الكلام عن مواضعه في يوم من الأيام ، ولا أدلّ على ذلك من الخطبة التي سيذكرها ابن الصغير نفسه والتي قال فيها الخطيب الإباضي « الحمد لله الذي ابتدأ الخلق بنعمته الذي لم يزل بصفاته وأسمائه ، لا يشتمل عليه زمان ، ولا يحيط به مكان ، خلق الأماكن والأزمان تعالى أن تطلق في وصفه آراء المتكلمين ... » . أنظر بحار إبراهيم : الدولة الرستمية ، ص 327 وأنظر ابن الصغير في الخطبة التي بأخر كتابه .

من رأيت من خطبائهم على منابرهم فليس يستمعون الا
خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، خلا خطبة
التحكيم فانهم كانوا اذا فرغوا من الخطبة الأولى قاموا الى
الثانية وحكموا ، وسوف اذكر خطبة التحكيم فيما يلي هذا
الكلام . فلم يزلوا كذلك الى ان ولي الخطابة رجل منهم
يقال له احمد بن منصور ، وسمعتة يخطب بهذه الخطبة ثم
يخطب بعدها بخطبة التحكيم ، فلقيته وعانيته⁽²⁰⁰⁾ ، وقلت
له ان خطبتك التي سمعت منك اليوم ليست من خطب
أسلافك ، فقال لي حملي عليها عثمان بن احمد بن
يحيى⁽²⁰¹⁾ ، وكان مقدما عندهم ولا يكادون يخالفونه فيما
استحسن لهم ، فخطبت بها لأنه استحسنها لي . والخطبة
هي هذه « الحمد لله الذي ابتداء الخلق بنعمائه ، وتغمدهم
جميعا بحسن آلائه⁽²⁰²⁾ ، فوفق كل أمرء منهم في صباه ،
على طلب ما يحتاج اليه من غدائه ، وسخر له من
يكلوه⁽²⁰³⁾ الى وقت استغنائه ثم احتج على من بلغ منهم
بالآيات وحذر اليهم بانبائه واعذر اليهم بابلائه ، (كذا) الذي
لم يزل بصفاته واسماؤه ، لا يشتمل عليه زمان ، ولا يحيط به
مكان . خلق الأماكن والازمان ثم استوى الى السماء وهي

النصر الكامل
خطبتي جمعة

(200) روى الصحيح « عاتبته » .

(201) لا نذكر المصدر الإباضية عثمان بن احمد بن يحيى وعمه من المتقدمين ومن الذين لا
يخالفون في رأيهم . وقد ذكرنا فيما سبق أسباب إهمال المصادر الإباضية لكثير من أعلامها
الشيعة خاصة .

(202) وردت في الأصل « بلانه » .

(203) كلاً . يكلاً : حفظ يحفظ : قال تعالى : « قل من يكلؤكم بالليل والنهار » أي يحفظكم .

أنظر : ابن منظور : لسان . ج 3 ، ص 281 .

دخان ، فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا
طائعين فقدرها احسن تقدير ، واخترعها من غير نظير ، لم
يرفعها باعمدة تدرك بالمعانية ، ولم يستعن عليها بأحد
استكبارا عن الشركة والمعاونة وزينها للناظرين ، وجعل
فيها رجوما للشياطين فتبارك الله أحسن الخالقين ، تعالى ان
تطلق في وصفه آراء المتكلفين أو أن تحكم في دينه أهواء
المتقليدين ، بل جعل القرآن اماما للمتقين وهدى للمؤمنين ،
وملجأ للمتنازعين ، وحكما بين المتخالفين ودعا أولياءه
المؤمنين الى اتباع تنزيله ، وامرهم عند التنازع في تأويله
بالرجوع الى قول رسوله ﷺ ، بذلك نطق حكم كتابه اذ
قال جل ثناؤه « يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول وأولي الأمر منكم ، الى قوله واحسن تأويلا »⁽²⁰⁴⁾
وتعهد⁽²⁰⁵⁾ نبيه ﷺ عند رجوع الأمة في تأويل ما أشكل
عليها اليه بأن بين لهم معنى ما أنزل عليه فقال « ما أنزلنا
عليك الكتاب الا ليتبين لهم الذي اختلفوا فيه »⁽²⁰⁶⁾
ولم يكل لهم تعالى الى القول في دينه بأرائهم ، ولا اذن لهم
في مسامحة أهوائهم فتكون الاحكام مبتدعة ، والآراء
مخترعة ، والاهواء متبعة⁽²⁰⁷⁾ بل احصاها كل شيء عددا

(204) آية رقم 59 سورة النساء . وقام الآية « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله
واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » .

(205) وردت في الأصل « وتعبد » .

(206) آية رقم 64 سورة النحل وقام الآية « وما أنزلنا عليك الكتاب إلا ليتبين لهم الذي
اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » .

(207) وردت في الأصل « مبتدعة » .

وضرب لكل شيء أمرا ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حيى عن بينة . أحمدہ حمدا يبلغ رضاه ويحسن الاله واستعينه على ما استحفطنا من ودائعه وحفظنا ما استودعنا من شرائعه وأومن به إيمان من اخلص له عبادته واستشعر طاعته ، واتوكل عليه توكل من انقطع اليه ثقة به ورغبة فيا لديه واشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة معترف له بالربوبية والتوحيد مقرا له بالعظمة⁽²⁰⁸⁾ والتمجيد خائفا من انجاز ما قدم اليه من الوعيد واشهد ان محمدا عبده ورسوله اصطفاه لنفسه وليا وارفضاه لخلقه نبيا فاوجده على حفظ ما ضمنه قويا وبإدائه ما استودعه مليا وبالبدعاء الى ربه خفيا ومتوفقا عن ورود المشكلات ومثمرا عند انجلاء⁽²⁰⁹⁾ الشبهات لا يرعوى لمن عدله ولا يلوى على من خذله ولا يطيع غير من ارسله يصدع بالامر ويطفى نار الكفر ولا تأخذه في الله لومة لائم . ولم ينحرف عنه لرغم راغم ارسله على حين فترة من الرسل ودرس من السبل وتضامن من اهل الملل ، والناس فريقان عالم متكبر وجاهل مستظير فالعالم الذي سبق له الخذلان ينزعه الشيطان ويجمع به تطفيان فيستنكف عن الدخول في دين الايمان ، والجاهل مستنكع في غيه متحير في امره منتظر ما يكون من غيره فلم يزالا يعكفان على الازلام ويعتصمان بالاصنام والرسول عنيه السلام يرعى السوام ويدعوهم الى دار

(208) وردت في الاصل " بالقطمة " والصحيح " بالعظمة " .

(209) وردت في الاصل " نجلاء " .

السلام فلم يزل يبين يعظهم بالآيات ويقرعهم بالمعجزات حتى استقدم من ارد الله توفيقه من سائر اهل الديانات فبلغ الحكومات وأوضح المشكلات وزجر عن القول في الدين بالشهوات ، فحتم الله به النبيين واكمل به الدين واوجب به الحجة على العالمين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين واخوانه من المرسلين واوليائه من المؤمنين . ثم جلس ثم قام وقال الحمد لله نستعينه ونستغفره ونؤمن به ونستهديه ونستنصره ونبرا من الحول والقوة اليه ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهد الله فهو المهتدي ومن يضل فلا هادي له ونشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالصدق ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . الله ربنا ومحمد نبينا والاسلام ديننا والكتبه قبلتنا والقراءان امامنا ، رضينا بجلاله جلالة وجرامه حراما لا نبتغي عنه بدلا ولا عنه حولا ولا نستتري به ثنا لا حكم الا لله اتباعا لكلام الله وسنة نبيه عليه السلام وخلافا لأهل البدع ، لا حكم الا لله خلعا ونبد وغراف . لجميع عداة الله ، لا حكم الا لله ولو كره الجبارون الحاكمون بغير ما انزل الله واشهد ان من لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأرحم محمد وآل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما صليت وباركت ورحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد . اللهم صل على العصبتين المباركتين من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان . اللهم وأرحم

« رَأَى فِي سَبِيلِكَ أَهْلَ الْفَضْلِ فِي الْإِسْلَامِ اللَّهُمَّ وَصِّلْ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ الْمُبَارَكِينَ بَعْدَ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ » إمامي
الهدى بما عملا به من كتابك وما أثاره من سنة نبينا اللهم
وأصلح الأمير يوسف بن محمد^(١١١) ، أصلحه وأصلح على
يديه ووفقه للخير...^(١١٢) وأعنه عليه وافتح له من عندك
أعونا وانصار على طاعتك اللهم أعزز به الإسلام وأهله
وأذل به الكفر وأهله . انصره نصرا عزيزا ، وافتح له فتحا
سيرا وهب له من عندك سلطانا نصيرا . كفى بك وليا
وكفى بك نصيرا . اللهم اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا
بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك
رؤوف رحيم . ثم قرأ . قل هو الله أحد »^(١١٣) ثم نزل .

• (210) هذا ملاحظ توقف بعض الإبدئية . على الأقل . عند خيفتي الصبرين عثمان بن
سفيان بن عيينة بن أبي سفيان بن عمرو بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .
مدية حديثه عن الخطبة ذكر أنها ليست من خطب أسلاف أحمد بن منصور الخطيب وإنما هي
عيب عثمان بن أحمد بن يحيى ربما يكون من المتطرفين .
(211) هو الإمام أبو حاتم يوسف بن أبي اليقظان محمد . - دس الأئمة المرتبة .
(212) بيان في الأصل .
(213) هي سورة الإخلاص في القرآن الكريم ورقمها : 112 .

قائمة المصادر والمراجع والدوريات المعتمدة في التحقيق :

— ابن الأثير عز الدين علي بن أبي الكرم (ت 630هـ) : الكامل في
التاريخ ، تحقيق نخبة من العلماء ، ط 2 ، دار الكتاب العربي .
بيروت ، 1387هـ/1967م .

— ابن جميع أبو حفص عمر : مقدمة التوحيد ، شرح أبي العباس الشماخي^{74/5/214}
وأبي سليمان التلاقي ، ط 2 ، الجزائر ، 1392هـ/1973م .

— ابن حزم علي الظاهري : (ت 456هـ) انصل في الملل والأهواء
والنحل ، دار الكتاب اللبناني بيروت . بلا تاريخ الطبع .

— ابن عذاري المراكشي أبو عبد الله محمد : (ت في نهاية القرن السابع
الهجري) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ج.س.
كولان وليفى بروفنصال ، دار الثقافة ، بيروت ، 1948 .

— ابن منظور محمد بن مكرم : (ت 711هـ) : لسان العرب المحيط : اعداد
يوسف الخياط وآخر دار لسان العرب ، بيروت ، 1970م .

— أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر (ت 471هـ) : كتاب سير الأئمة
وأخبارهم ، تحقيق إسماعيل العربي ، إحصاءات المكتبة الوطنية .
الجزائر ، 1399هـ/1979م .

— أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر : (ت 732هـ) تقويم البلدان ،
تصحيح رينودو وآخرين ، دار الطباعة السلطانية ، باريس 1840م .

١٥/٥/١٩٥٦

— النعمودي أبو الحسن علي بن الحسن : (ت 346هـ) مروج الذهب
ومعادن الجواهر ، ط 4 ، دار الأندلس ، بيروت 1401هـ/1981م .

— معمر علي يحيى : الإباضية في موكب التاريخ ، الحلقة 4 ، الإباضية في
الجزائر ، مطبعة الدعوة الإسلامية ، مكتبة وهبة ، القاهرة .
1399هـ/1979م . 15/3/19

— مهدي هاشم طالب : الحركة الإباضية في المشرق العربي نشأتها وتطورها
حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، رسالة ماجستير في التاريخ ، جامعة
بغداد ، 1977م . 8/3/15

— الملي محمد مبارك : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، مكتبة النهضة
الجزائرية ، الجزائر ، 1350هـ/1931م . 91/1/96

— النديم أبو الفرج محمد بن أسحاق : (ت 380هـ) كتاب الفهرست ، تحقيق
رضا تجدد بلا مكان الطبع ، 1391هـ/1971م . 55/020

— الوارجلاني أبو يعقوب يوسف (ت 570هـ) : الدليل لأهل العقول ،
المطبعة البارونية الحجرية ، مصر ، 1306هـ .

— وداد القاضي : ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية ، مجلة الأصالة . دار
البعث . قسنطينة ، عدد 45 ، 1397هـ/1977م .

— الوسياني أبو الربيع سليمان بن عبيد السلام : (ت 6هـ) كتاب السير ،
مخطوط بحوزة الشيخ بابانو بني يسجن غرداية ، الجزائر .

— ياقوت الحموي : (ت 626هـ) معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت .
1397هـ/1977م . 93/040

ج ١٥
د ١٢
هـ ١٣
و ١٤
ز ١٥

١١٥ -
١١٣ ١٢ ١٥ =

— الشماخي أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 928هـ) . كتاب السير ، طبع
حجري قسنطينة ، الجزائر 1301هـ .

— الشهرستاني أبو الفتح بن عبد الكريم : (ت 548هـ) : الميل والنحل ،
دار الكتاب اللبناني بيروت ، وهو بهامش كتاب الفصل في الملل لابن
حزم ، بلا تاريخ الطبع . 2/1/15

— الطبري محمد بن جرير : (ت 310هـ) : تاريخ الرسل والملو ، تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف ، مصر ، 1968م .

— عبد الوهاب بن منصور : السفارات الملكية والعلائق بين المشرق
والمغرب ، جريدة البصائر ، الجزائر ، عدد : 179/178 ،
1371هـ/1952م .

— عوض خليفات : نشأة الحركة الإباضية ، جامعة الأردن ، عمان ،
1978م . 10/3/15

— عوض خليفات : النظم الإحتجاجية والتربوية عند الإباضية في شمال
افريقية في مرحلة الكتان ، عمان . الأردن ، 1982م .

— فاروق عمر فوزي : الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ،
ط 2 ، بيروت 1979م . 85/5/956

— فاروق عمر فوزي : العباسيون الأوائل ، ج 3 ، عمان ، 1983م .

— مبرد أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285هـ) : الكامل في اللغة (باب
الخوارج) ط 2 دار الحكمة دمشق ، 1972م . 9/808

— محمود إسماعيل : الخوارج في المغرب الإسلامي ، دار العودة ، بيروت ،
1976م . 93/5/956

فهرس الاغلام

- أ -

- أبان : 53
 ابراهيم بن الأغلب : 71
 ابراهيم بن مسكين : 101
 ابراهيم (النبيء عليه السلام) : 109
 ابن أبي دريس : 105
 ابن أبي عياض اللواتي : 99
 أحمد بن بشير : 15 - 81 - 83 - 88
 أحمد بن الحسين : 38
 أحمد بن دبوس : 100
 أحمد بن منصور : 105 - 106 - 110
 أحمد التيه : 105
 إسماعيل بن درار الغدامسي : 26
 إسماعيل العربي : 17
 أطفيش أحمد بن يوسف (الشيخ) : 39
 الأغلب (بنو) : 71
 إفلح بن العباس : 86 - 87
 أفلح بن عبد الوهاب (الامام) : 15 - 21 - 47 - 55 - 59 - 61 - 62 - 73 - 86
 الألباني محمد ناصر الدين : 12 - 28
 الياس بن منصور : 86
 أمرو القيس (الشاعر) : 75
 أمية (بنو) : 32
 الأوس (بنو) : 45 - 47 - 63

- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب : (ت 284هـ) : البلدان ، ط 3 ، النجف 1377هـ/1957م .

- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب : (ت 284هـ) : تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت 1379هـ/1960م . 49 / 900

المراجع الأجنبية

- Actes du 14^e Congrès International des Orientalistes à Alger 1905. 3^{eme} partie imp. Orientale Paris 1908 traduction de la Chronique d'Ibn Seghir par A.de C. Motylinsky.
- Les Cahiers de Tunisie, Revue des sciences humaines, faculté des lettres de Tunisie Tome XXIII N° 91-92 3^e et 4^e trimestre 1975 réimpression de la Chronique d'Ibn Seghir en Arabe.
- Lewicki Tadeusz : l'Etat Nord-Africain de Tahert et ses relations avec le Soudan Occidental à la fin du VIII^e au IX^e 5. Cahiers d'Etudes Africaines vol II, (8) Paris 1962.
- Provençal E. Levi : Histoire de l'Espagne Musulmane imp. Durand. Leiden. 1950.

ملحوظة :

بعد الانتهاء من اعداد الكتاب للطبع وصلنا من القاهرة كتاب اخبار الائمة لابن الصغير بتحقيق الدكتور حسن علي حسن لذلك لم نعتده في مصادرننا .

- ب -

الباروني سليمان (الشيخ) : 69

باسية رينية : 23

البرادي أبو القاسم : 18 - 37

بشير (أحد المقربين للامام أبي اليقظان : 87

أبو بكر بن أفلح (الامام) : 16 - 21 - 23 - 54 - 59 - 61 - 70 - 73 - 74

بكر بن الواحد : 94

بكر بن يبيدي : 94

أبو بكر الصديق (ض) : 110

البلاذري : 5

أبو بلال مرداس بن أدية : 32

بلحاج (الشيخ) : 39

- ج -

جابر بن زيد الأزدي (امام الاباضية) : 25

جان (من نعيم) : 95

جودت عبد الكريم يوسف : 6 - 80

- ح -

أبو حاتم المنزوي : 19 - 20

أبو حاتم يوسف بن أبي اليقظان (الامام) : 13 - 16 - 18 - 23 - 86 - 89 - 91 - 102 - 110

أبن حزم محمد بن علي الظاهري : 38

الحسن البصري : 82

أبو حمزة الشري : 32

حمود بن بكر : 86 - 87

حمويه : 53

أبو حنيفة سمر بن ثابت (الامام ص) : 92 - 103

- خ -

أبو خالد بن أبي اليقظان بن أفلح : 89

أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمع : 26، 27

أبن خلدون عبد الرحمان : 6

خلف بن السمع : 69

خلف الخادم : 71

- د -

أبو داود القيني النغزوي : 26

الدبور محمد علي (الشيخ) : 39

أبن دبوس : 100

الدرجيني أبو عباس أحمد : 18

أبو دنون : 92

- ر -

أبو الربيع سليمان : 102 - 104

- ز -

زكار : 101

زكرياء بن أبي اليقظان بن أفلح : 79 - 80

أبو زكرياء الوارجلاني : 17 - 19 - 20 - 22 - 23 - 55

- س -

أبو سابق : 87 - 89

أبو سعيد الله : 46

سليمان بن زرقون : 102

سليمان بن ماطوس : 102

سليمان بن يعقوب بن أفلح : 23

سليمان موني محمد بن عبد الله : 78 - 80

السمع بن أبي الخطاب عبد الأعلى : 69

- ش -

شعيب بن مدمان : 78

الشيخ حنبل بن ابي اسحاق : 18 - 61 - 105
الشيخ ابن ابي عمير : 48

- ص -

ابن الصغير : 9 - 17 - 20 - 22 - 25 - 26 - 38 - 51 - 53 - 61 - 62 - 75 - 78 - 80 -
83 - 99 - 102 - 105 - 110
ابن الصغير الهوارى (غير صاحب كتاب) : 81

- ط -

طائي محمد : 8

- ع -

عائشة بنت ابي بكر الصديق (ض) : 103
عاصم سدراتي : 26
ابو العباس بن عبد الوهاب : 50 - 52
ابو العباس بن فتحون : 105
بنو العباس (العباسيون) : 21 - 55 - 63
بن عبد الحكم : 6
عبد الرحمن بن رستم (الامام) : 18 - 20 - 25 - 39
عبد الرحمن بن صواب النفوسي : 101
عبد العزيز بن الاور : 61 - 62 - 85 - 87
عبد الله بن باقر التميمي : 25
عبد الله شريط : 6
ابو عبد الله شيباني : 18 - 28 - 81
عبد الله بن الصغار : 94
عبد الله بن النمطي : 81 - 82 - 99
عبد الله بن محمد بن عبد الله بن ابي شيخ : 101
عبد الله بن مسعود : 38
عبد الله بن وهب الرازي : 37
عبد الله بن يزيد : 37 - 38
عبد الواحد : 53

عبد الوهاب بن ابي اليقظان : 89

عبد الوهاب بن عبد الرحمن (الامام) : 15 - 16 - 20 - 21 - 36 - 48 - 55 - 69 - 73 - 98

عبد الوهاب بن منصور : 59

ابو عبيدة الاعرج : 83 - 84

ابو عبيدة مسلم بن ابي كريمة : 26 - 27

ابو عبيدة معمر بن النخعي : 84

العبيديون : 81 - 98

عثمان بن احمد بن يحيى : 106 - 110

عثمان بن الصفار : 105

عثمان بن عفان (ض) : 110

ابن عرفة محمد : 15 - 16 - 21 - 61 - 68

علوان بن علوان : 92

علي بن ابي طالب (ض) : 12 - 13 - 28 - 78 - 81 - 92 - 106 - 110

علي بن يحيى معمر : 68

عمر بن الخطاب (ض) : 110

عوض خليفات : 38

عيسى بن عمر : 38

عيسى بن عمير : 38

عيسى بن فرناس : 81 - 86 - 87

عيسى بن مريم (النبي عليه السلام) : 85

- غ -

غزالة (زوجة الامام ابي اليقظان) : 89

- ف -

فورنيل : (مستشرق) : 19

- ق -

ابن قتيبة عبد الله بن مسلم : 84

- ل -

لينسكي (مستشرق) : 14

- م -

مسكراي (المستشرق) : 17

مئث بن أنس (ص) امام المذهب المالكي : 102

متوكل (الخليفة العباسي) : 21 - 56

محكم الهواري : 49 - 52

محمد بن بكر : 81 - 86

محمد بن حماد : 92 - 93

محمد بن دبوس : 100

محمد بن زويج : 92 - 93

محمد بن عبد الله (ض) : 28 - 103 - 107 - 110

محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ أبو عبد الله : 77 - 79 - 101

محمد بن مسألة : 73 - 74

أبو محمد الصيرفي : 72

محمود بن الوليد : 69

محمود إسماعيل : 14

المختار بن عوف : (أنظر أبو حمزة الشاري) :

مدرار (بنو) : 85

مثنى أحمد توفيق : 6

مرون بن محمد (الخليفة الأموي) : 32

مسألة (بنو) : 49 - 45

ابن مسعود : 100

أبو مسعود : 92

مسعودي : مورن

المعتد (الخليفة العباسي) : 56

منكود اللواتي : 99

منهتدي (الخليفة العباسي) : 56

موتيلانسكي (المستشرق) : 7 - 9 - 13 - 14 - 17 - 23 - 35 - 75 - 94 - 103

الميلي محمد مبارك : 14

ميون بن عبد الوهاب : 17

- ن -

النويري (المؤرخ) : 20

- ه -

هارون الرشيد : 71

الهيثي : 28

- و -

الوائق (الخليفة العباسي) : 21 - 56

ابن الواسطي : 72

واصل بن عطاء : 82

وانودين أو وانودي : 97 - 98

وداد القاضي : 11 - 16

ابن وردة : 54 - 73

الوسيان أبو الربيع سليمان : 55

وهب بن أبي اليقظان : 89

- ي -

يزيد بن أبي أنيسة : 38

يزيد بن حاتم : 20

يزيد بن فندين أبو قدامة : 37 - 38

يعقوب بن أفلح (الامام) : 14 - 15 - 18 - 22 - 23 - 96 - 100

أبو يعقوب المزاني : 98 - 99

أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم الورجلاني : 36

اليقوبي (المؤرخ) : 26

اليقظان بن أبي اليقظان (الامام) : 14 - 16 - 23 - 89 - 97

أبو اليقظان ابراهيم : 9 - 29 - 74

أبو اليقظان بن أفلح (الامام) : 11 - 13 - 15 - 18 - 21 - 22 - 54 - 56 - 59 - 61 - 63

65 - 70 - 91

فهرس البلدان والأماكن

- أ -

اسكدال : 73
اسلن : 47
الأغواط : 94
إفريقية : 54 - 71
إفريقيا الشمالية : 8 - 17 - 19 - 32 - 38
الأندلس : 5 - 26 - 29
الأوراس : نظر جبل الأوراس .

- ب -

البصرة : 11 - 12 - 28 - 29 - 32
بغداد : 21 - 26 - 56 - 59 - 76

- ت -

تالغمت : 94
تاملونت : 74
تاهرت : أنضر تيهرت
تسلونت : 74 - 88
تلمسان : 39
تناغيلت : 73
تونس : 8 - 71 - 105
تيلغمت : 94
تيهت : 8 - 11 - 21 - 23 - 25 - 29 - 38 - 41 - 44 - 47 - 54 - 59 - 68 - 69 - 73
77 - 81 - 83 - 86 - 91 - 94 - 97 - 99 - 100 - 101 - 106

- ج -

جبل أوراس : 49
جبل نقوسة : 18 - 23 - 39 - 69 - 75 - 85 - 86
جبل ينجان : 48
جربة (جزيرة) : 18 - 39
الجزائر : 7 - 8 - 10 - 17 - 25 - 94
جنبي : 20

- ح -

الحجاز : 12
حصن لواتة : 74
حصن غاليت : 93

- د -

دجلة (نهر) : 58
الدينور :

- ر -

الرهادنة : 84 - 102

- س -

سجلماسة : 85
السودان (الغربي والأوسط والشرقي) : 32 - 62

- ش -

الشفة الحمراء : 67

- ص -

الصحراء : 32 - 94

- ط -

طرابلس : 22 - 39

- ع -

العراق : 12 - 61 - 63 - 103

- غ -

غانة (ملكة) : 62

غرداية : 94

- ف -

الفرات (نهر) : 58

فرنسا : 8

- ق -

القرارة : 18 - 39

قلعة نفوسة : 76

القيروان : 11 - 12 - 32

- ك -

الكدية : 44

الكنيسة (موضع بتيهت) : 69

الحوفة : 11 - 12 - 32 - 84 - 92

كوكو (ملكة) : 62

- م -

مانو : 22

مجانة : 54

مدينة السلام : أنظر بغداد

المشرق : 6 - 21 - 28 - 32 - 59 - 63 - 69 - 86 - 91 - 95

مصر : 5

مصلّى الجنائز : 80

المعصومة : 81

المغرب : 5 - 8 - 14 - 17 - 22 - 26 - 28 - 32 - 39 - 41 - 45 - 46 - 55 - 59 - 69 - 74

75 - 85 - 94 - 95 - 98

المغرب الأدنى : 54

المغرب الأوسط : 20

مكة : 56.55

ميزاب (وادي) : 7 - 14 - 17 - 18 - 39

مدينة (نهر) : 74 - 82 - 100

- ن -

نهر أبي سعيد : 46

نهر إسلان : 47

- و -

وادي ميزاب : أنظر ميزاب

وادي هواره : 46 - 74

وارجلان : 23 - 98

وهيران : 25

فهرس القبائل والمذاهب والأمم

- أ -

الابضية : 5 - 46 - 51 - 52 - 59 - 64 - 68 - 69 - 73 - 77 - 86 - 92 - 96 - 97 - 99
100 - 102 - 105 - 106 - 110
الأتراك : 56 - 57
الأتشيان : 26

- ب -

البربر : 19 - 20 - 45

- ت -

تيم الرباب : 84

تيم قريش : 84

- ح -

الحجازيون : 92 - 103
الحنفية (مذهب) : 92 - 103

- خ -

الخلفية أو الخلفيون : 69
الخوارج : 5 - 17 - 19 - 20 - 22 - 25 - 94

- د -

دمر : 95

- ر -

الرباب (قبيلة عربية) : 84
الرستمية (العائلة) : 62 - 71 - 73 - 94 - 96

- ز -

زناتة : 55 - 91
زواغة : 96 - 100

- س -

سدراة : 41
المحيون : 69 - 94

- ش -

الشراف : 46 - 50 - 55 - 63 - 110
الشيعة : 12 - 13 - 92 - 103

- ص -

الصفورية (مذهب) : 85 - 94
الصفالية : 57
صنهاجة : 95

- ع -

العجم : 54 - 55 - 63 - 69 - 73 - 94 - 95
العرب : 70 - 72 - 75
العسكرية : 38
العمرانية : 38
العمرية : 38
العلوية : 12 - 13

محتويات الكتاب

الصفحة	
5	مقدمة التحقيق
11	ترجمة ابن الصغير والتعريف بكتابه
17	تاريخ «ابن الصغير» عن أئمة تاهرت الرستين لموتلانسي (تعريب)
	كتاب ابن الصغير
	ذكر بعض الأخبار عن الأئمة الرستين
	منقول من ابن الصغير
25	ولاية عبد الرحمن بن رستم
26	مبايعته إماماً
28	عدل عبد الرحمن
28	معاونة إياضية المشرق لعبد الرحمن
31	رخاء وأمن الدولة الرستية
32	الإزدهار التجاري والعمري
33	المعونة الثانية ورفض عبد الرحمن قبولها
35	النظام الإداري والاقتصادي
36	وفاة عبد الرحمن
37	ولاية عبد الوهاب وماكان من أمره
38	الإزدهار والرخاء أيام حكمه
41	بيان السبب الذي كان له وجه الإفتراق
44	فتنة النكار
45	الإفتراق الثاني
46	خروج عبد الوهاب لقتال بني أوس
47	شجاعة أفلح
48	ترشيح أفلح